جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

أثرُ السِّياقِ في تحديدِ معاني الألفاظِ الطِّبِّيَّةِ الواردَةِ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ " نماذج منتقاة"

The Impact of Context on Determining the Meanings of Medical Terms in the Prophetic Sunnah (Selected Examples)

إعداد

د/ محمد أحمد عبد العال إسماعيل

مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بجرجا
جامعة الأزهر

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الخامس (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (٢٥٣٦-٩٠٨٣)
(ISSN)

أثرُ السِّياقِ في تحديدِ معاني الألفاظِ الطِّبِّيَّةِ الواردَةِ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ " نماذج منتقاة"

محمد أحمد عبد العال إسماعيل

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بجرجا ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohamedabdelaal6517@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث «أثر السياق في تحديد معاني الألفاظ الطبية الواردة في السنة النبوية "نماذج منتقاة"»، حيث يسعى إلى توضيح أهمية السياق في فهم الألفاظ الطبية التي وردت في الأحاديث النبوية. ويعتمد البحث على تحليل دقيق للألفاظ الطبية في ضوء الظروف اللغوية وغير اللغوية المحيطة بها، مستعرضًا كيف يُساعد السياق في الكشف عن المعاني الدقيقة لهذه الألفاظ، بعيدًا عن الفهم السطحي أو المجتزأ.

ركَّز البحثُ على عدَّةِ محاور رئيسة، منها: تعريف السياق وأنواعه، وأهمية الألفاظ الطبية في السنة النبوية، مع تصنيف هذه الألفاظ إلى نباتية وحيوانية ومعدنية، إضافة إلى دراسة بعض الأمثلة والنماذج التطبيقية من الأحاديث النبوية، مثل «الحبة السوداء» وغيرها، لتحليلها وفق سياقها النبوي.

توصَّل البحث إلى أنَّ السِّياق يُعد عنصرًا محوريًّا في تحديد معاني الألفاظ الطبية النبوية، ويُسهم في إبراز فهم شامل ودقيق للمعاني المقصودة، كما بيَّن توافق الكثير من الألفاظ النبوية الطبية مع الدراسات العلمية المعاصرة.

واختتم البحث ببعض التوصيات، منها تعزيز الدراسات التي تربط بين علم اللغة والدلالة والعلوم الشرعية، والاهتمام بتفسير الألفاظ الطبية وفقًا لسياقاتها، بما يسهم في فهم أعمق للطب النبوي.

الكلمات المفتاحية: السياق، الألفاظ الطبية، السنة النبوية.

The Impact of Context on Determining the Meanings of Medical Terms in the Prophetic Sunnah (Selected Examples)

Muhammad Ahmad Abd Al-Aal Ismail

Lecturer of Fundamentals of Language - Faculty of Arabic Language in Girga - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt.

Email: mohamedabdelaal6517@gmail.com

Abstract

This research examines "The Impact of Context on Determining the Meanings of Medical Terms in the Prophetic Sunnah: Selected Examples." It seeks to clarify the importance of context in understanding medical terms mentioned in the Prophetic hadiths. The research relies on a careful analysis of medical terms in light of the linguistic and non-linguistic contexts surrounding them, demonstrating how context helps uncover the precise meanings of these terms, away from superficial or fragmentary understanding.

The research focuses on several main axes, including: defining context and its types, and the importance of medical terms in the Prophetic Sunnah, classifying these terms into plant, animal, and mineral terms. It also examines some examples and applied models from the Prophetic hadiths, such as "black seed" and others, to analyze them according to their prophetic context.

The research concludes that context is a pivotal element in determining the meanings of prophetic medical terms and contributes to a comprehensive and accurate understanding of the intended meanings. It also demonstrates the compatibility of many prophetic medical terms with contemporary scientific studies. The research concluded with several recommendations, including promoting studies that link linguistics, semantics, and Islamic law, and focusing on interpreting medical terms according to their contexts, thus contributing to a deeper understanding of prophetic medicine.

Keywords: ***Context , Medical Terms , Prophetic Sunnah.***

المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ رَحْمَتِهِ لِلْعِبَادِ أَسْبَابًا لِلشِّفَاءِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ هُدَاهُ المُبِينِ سُبُلَ الدَّوَاءِ، وَدَلَّهُمْ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَى مَا يُصْلِحُ الْأَبْدَانَ وَيَزْكِي الْأَرْوَاحَ. نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ المُتَتَابِعَةِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ الوَاضِحَةِ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَدَاعِي الأُمَّةِ، الَّذِي جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ نُورِ النُّبُوَّةِ وَرُشْدِ التَّدْبِيرِ، فَكَانَ هَدْيُهُ فِي التَّطْبِيبِ وَالتَّدَاوِي أَسْلَمَ الـهَدْيِ وَأَقْوَاهُ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَومِ اللِّقَاءِ.

وبعـــد،،،

يُشكِّلُ الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ مصدرًا أصيلاً من مصادرِ التَّشريعِ والمعرفة في الإسلام، ويتضمَّنُ بين نصوصه العديدَ من الألفاظِ والمصطلحاتِ الطِّبيَّةِ التي كانت مستخدمة في زمنِ النبوة، مما يجعله وثيقةً لغويَّةً وثقافيَّةً ذات بعدٍ طبيٍّ تعبِّر عن المفاهيم الصحية والرعائية في ذلك العصر. ومع تطور اللغة وعلوم الطب عبر القرون، أصبح فهم تلك الألفاظ واستيعاب دلالاتها يتطلب دراسةً دقيقةً تدمج بين التحليل اللغوي والسياقي، وتراعي الفروق الزمانية والمعرفية.

ويُبرز هذا البحث أثرَ السياق في تحديد معاني الألفاظ الطبية الواردة في السنة النبوية "نماذج منتقاة"، إذ يُعدّ السياق بجوانبه اللغوية والثقافية والاجتماعية مفتاحًا لفهم دقيق وعميق لتلك المصطلحات، كما يُسهم في توجيه التفسير نحو المعاني الأقرب إلى مراد النص النبوي.

ويهدف هذا البحث إلى استكشاف مدى تأثير السياق في تفسير تلك الألفاظ، من خلال دراسة تفاعلات التركيب اللغوي مع المعطيات الثقافية والاجتماعية والدينية، مما يُضفي إلى تقديم رؤية أكثر شمولاً واتساقًا لدلالاتها. ويُسهم في إثراء الدراسات الإسلامية، وتعزيز التلاقي بين اللغة والطب في إطارها النبوي.

أسباب اختيار الموضوع:

هُناكَ عدَّةُ أسبابٍ تدفعُ الباحثَ لاختيارِ موضوعِ « أَثَرِ السِّياقِ في تحديدِ معاني الألفاظِ الطِّبيَّةِ الواردةِ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ "نماذج منتقاة"»، ومن أَبرَزِ هذهِ الأَسبابِ:

***أولاً: تحديدُ الفهمِ الصحيحِ للألفاظِ الطِّبيَّةِ*: بعضُ الألفاظِ الطِّبيَّةِ في الحديثِ النَّبويِّ تحملُ معاني تحتاجُ إلى تفسيرٍ سياقيٍّ دقيقٍ، حيثُ قد يكونُ معناها مُتَغيرًا باختلافِ الظروفِ المُحيطةِ، وهذا يُساهمُ في الوصولِ إلى فهمٍ دقيقٍ وواضحٍ لمقاصدِ العلاجِ النَّبويِّ.**

***ثانيًا: إثراءُ المكتَبةِ العلميَّةِ في الطِّبِّ النَّبويِّ*: الدِّراساتُ حولَ الألفاظِ الطِّبيَّةِ في الحديثِ النَّبويِّ غالبًا ما تُركِّزُ على الاستخداماتِ العلاجيَّةِ، لكنَّ دراسةَ السِّياقِ تُضيفُ بُعدًا جديدًا لفهمِ هذه الألفاظِ في ضوءِ البيئةِ والظُّروفِ التي وردتْ فيها، ممَّا يَجعلُ هذا البحثَ إسهامًا جديدًا وفَريدًا في مجالِ الدِّراساتِ اللُّغويَّةِ والدِّينيَّةِ.**

***ثالثًا: التَّأصيلُ الشَّرعيُّ والعلميُّ للطِّبِّ النَّبويِّ*: يُمكنُ أن يُساعدَ هذا البحثُ في تأصيلِ بعضِ المُمارساتِ الطِّبيَّةِ النَّبويَّةِ وربطِها بالعُلومِ الحديثَةِ، ممَّا يُضيفُ بُعدًا شَرعيًّا وعِلميًّا في آنٍ واحدٍ.**

***رابعًا: اسْتِكشَافُ تطورِ المَفاهيمِ الطِّبيَّةِ*: يُساعدُ هذا البحثُ في استعراضِ كيفيَّةِ تطورِ معاني الألفاظِ الطِّبيَّةِ، وما إذا كانَ هناكَ تغيرٌ في اسْتِخدَاماتِها مع الزَّمنِ، ممَّا يُعطي نَظرةً شُموليَّةً لتَطورِ الطِّبِّ عبرَ القُرُونِ.**

***خامسًا: التَّوجيهُ العلميُّ لتطبيقاتِ الطِّبِّ النَّبويِّ*: فَهمُ دلالاتِ الألفَاظِ في سِياقاتِها النَّبويَّةِ يُمكنُ أن يُسهمَ في تطبيقاتٍ علميَّةٍ في الطِّبِّ البَديلِ أو التكميليِّ، حيثُ يتمُّ استخدامُ هذه المفاهيمِ بِشكلٍ يتناسبُ مع معانيها الأصليَّةِ.**

***سادسًا: إبرازُ مُرونةِ الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ*: يُظهرُ هذا الموضوعُ كيفَ أنَّ الشَّريعةَ قادرةٌ على مواكبةِ التَّطوراتِ العلميَّةِ والطِّبيَّةِ، عبرَ تفسيرِ الألفاظِ بما يتناسبُ مع المُستجدَاتِ دونَ إغفالِ المقاصدِ الأصليَّةِ.**

***سابعًا: تقديمُ نموذجٍ تطبيقيّ للدّراساتِ الدَّلاليةِ*: البَحثُ في السِّياقِ للألفاظِ الطِّبيَّةِ يُقدِّمُ مثالًا على كيفيَّةِ الاستفادةِ من الدّراساتِ اللُّغويَّةِ والدَّلاليةِ في فهمِ نصوصِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ بِعُمقٍ.**

***ثامنًا: إتاحةُ مجالٍ للتجارب العِلميَّةِ*: دراسةُ الألفاظِ الطِّبيَّةِ من منظورٍ سياقيٍّ يُمكنُ أن يفتحَ مجالًا للتجاربِ العِلميَّةِ التي قد تتحقَّقُ من فَعَالِيَّةِ بعضِ العلاجاتِ النَّبويَّةِ باستخدامِ منهجياتٍ علميَّةٍ.**

أسئلة البحث:

١. **ما أثرُ السِّياقِ في توضيحِ المَعاني الطِّبِّيَّةِ للألفاظِ الواردةِ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ؟**
٢. **كيفَ يُمكنُ للسِّياقِ أن يُوجِّهَ فهمَ الألفاظِ الطِّبِّيَّةِ نحو معانٍ دقيقةٍ تُناسبُ المَقاصِدَ الشَّرعِيَّةِ؟**
٣. **ما هي الأمثلةُ الواردةُ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ التي توضِّحُ أثرَ السِّياقِ في تحديدِ معاني الألفاظِ الطِّبِّيَّةِ؟**

الدراسات السابقة:

يُعدُّ فهم الألفاظ الطبية في الحديث النبوي أمرًا مهمًّا، لما لها من دلالات قد تختلف باختلاف السياق. وتبرز أهمية دراستها في سياقها لفهم معناها الحقيقي واستعمالها في زمن النبوة. وقد ساهمت الدراسات السابقة في توضيح هذه الدلالات وربطها بالمعرفة العلمية الحديثة، مما يعين على فهم أدق وتطبيق أمثل لها، ومن الدراسات السابقة ما يلي:

- **تاريخ الطب العربي، د. محمد جابر صدقي، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، ط ١، ٢٠١٥م.**
- **التداوي بألبان الأبل وأبوالها، شهاب البدري ياسين، ضمن «سلسلة منهاج النبوة». ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.**

- التداوي بالعسل، دار الحضارة، ضمن سلسلة الطب البديل، من إصدار مكتبة العكبيان، تناول مكونات وفوائد العسل، رقم النشر: ٦ ـ ٦٥١ ـ٥١ ـ ٩٩٦٠ ـ ٩٧٨.
- التداوي ببول الإبل فقهيًّا وطبيًّا. د. مفيدة عبد الوهاب محمد إبراهيم، بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين، القاهرة، ع (٣٣)، ٢٠١٦م.
- التداوي بالسوائل بين الطب النبوي والطب الحديث: دراسة في ضوء الصحيحين، د. محمد شافعي مفتاح بوشية، بحث بمؤتمر الإمام، ديسمبر ٢٠١٨م.
- سبقُ الحديث النبوي للمكتشفات الطبية الحديثة. د. نضال المومني، بحث منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، ع (٣٤)، ج (٣).
- الطب النبوي الوقائي، د. محمد علي البار، د. حسان شمسي باشا، ط: المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، المملكة العربية السعودية ـ الرياض، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م.
- الطب النبوي بين القبول والرَّد في ضوءِ السنة المطهرة، د. عبد الرحمن رمضان الأزهري، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، ع (٣٨)، ج (٣)، ٢٠٢٠م.
- الطب النبوي من منظور معاصر، تأليف: هاني صلاح دراز.
- الطب النبوي والعلم الحديث د. محمود ناظم النسيمي: مؤسسة الرسالة ـ طبعة ١٩٩٦م.
- الطب النبوي وقواعد التعامل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطبية، قاسم عمر حاج احمد، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، م (٣٨)، ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٥م.
- عسل النحل شفاء نزل به الوحي، د. عبد الكريم نجيب الخطيب. الدار السعودية للنشر.
- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي د/ أحمد شوقي إبراهيم، ط: نهضة مصر، ط ٢، ٢٠٠٤م.

- الوسطية في المسائل الطبية من خلالِ سنَّةِ النَّبيِّ (ﷺ) وآثارها المعاصرة (مسألتا العدوى والتغذية أنموذجًا)، د. إسماعيل غازي أحمد مرحبا، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، ع (٢٠٧)، ج: (٢)، ١٤٤٥هـ.

بالإضافة إلى الدراسات السابقة، يأتي هذا البحث الموسوم بـ « أثر السياق في تحديد معاني الألفاظ الطبية الواردة في السنة النبوية » ليقدم رؤية جديدة ومتكاملة لهذا الموضوع، ويتميز هذا البحث عن غيره من الأبحاث والدراسات بعدة نقاط يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. التركيزُ على السياقِ:
يُعنى البحثُ بتحديدِ معاني الألفاظِ الطِّبيَّةِ من خلال السِّياقِ الذي ورد في الحديثِ، بِما يُتيحُ فهمًا أعمَقَ لاستعمالها.

٢. التطبيقُ على النُّصوصِ الشرعيةِ:
يركِّزُ البحثُ على الألفاظِ الطِّبيَّةِ في الحديثِ النَّبويِّ، ممَّا يجعلُهُ مُختلفًا عن الدِّراساتِ الأُخرى التي تتناولُ النُّصوصَ العلميَّةَ أو الأدبيَّةَ.

٣. التَّحليلُ اللُّغويُّ العميقُ:
يتضمَّنُ تحليلاً لغويًّا دقيقًا للألفاظِ الطِّبيَّةِ، يُراعي الفُروقِ الدِّلاليَّةِ والنَّحويَّةِ المؤثرة في المعنى.

٤. دراسة الأبعاد الثقافية والدينية:
يتناولُ البَحثُ كيفَ تؤثِّرُ الثَّقافةُ والدِّينُ في فهمِ الألفاظِ الطِّبيَّةِ، ممَّا يَجعلُهُ مهمًّا لدِراسةِ تأثيرِ الثَّقافاتِ الاجتماعيَّةِ والدِّينيَّةِ على اللُّغةِ.

٥. استنتاجاتٌ علميةٌ:
يُسهمَ البحثُ في توفيرِ فهمٍ أعمقَ للألفاظِ الطِّبيَّةِ في النُّصوصِ الدِّينيَّةِ، بِما يُفيدُ الأطبَّاءَ والباحثينَ والمُهتمِّينَ بمجالِ الطِّبِّ الشَّرعيِّ.

٦. الإسهامُ في الفهمِ الشاملِ:
يهدُف إلى تقديمِ رؤيةٍ شاملةٍ حول كيفيَّةِ استخدامِ اللُّغةِ في الحديثِ النَّبويِّ، وكيف يمكنُ أن تتداخلَ المعرفةُ الطِّبيَّةُ مع العلومِ الشَّرعيَّةِ.

٧. البحثُ في تأثيرِ التغيراتِ الزَّمنيةِ:
يرصد البحث تطور معاني الألفاظ الطبية عبر الزمن وأثره في تفسير الأحاديث.

بهذا يَسعى البحثُ إلى تقديمِ إضافةٍ جديدةٍ إلى المكتبةِ العلميَّةِ، من خلالِ إعادَةِ قراءةِ الألفاظِ الطِّبيَّةِ النَّبويَّةِ في ضوءِ السِّياقِ، ممَّا يُسهمُ في فهمٍ أعمقَ وأدقَ لمقاصدِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على ***المنهج الوصفي التحليلي السياقي:*** الذي يهدف إلى استقراء الألفاظ الطبية الواردة في السنة النبوية، وتحليلها في ضوء سياقاتها النصية والموضوعية، للكشف عن دلالاتها الدقيقة، واستجلاء أثر السياق في توجيه معناها، وذلك من خلال نماذج منتقاة تمثل تنوعًا في البناء اللغوي والمقامي للحديث النبوي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، على النحو الآتي.

المقدمة: تتناول أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، واستعراض أبرز الدراسات السابقة، والمنهج الذي سرت عليه.

أما **التمهيد:** يأتي بعنوان: « السياق ودوره في الكشف عن معاني الألفاظ الطبية»، ويندرج تحته:

أولاً: نظرية السياق بين القديم والحديث: النشأة والتطور.

ثانيًا: الألفاظ الطبية في السنة النبوية: مفهومها ومجالها الدلالي.

المبحث الأول: أثر السياق في دلالة الألفاظ الطبية النباتية.

المبحث الثاني: أثر السياق في دلالة الألفاظ الطبية الحيوانية.

المبحث الثالث: أثر السياق في دلالة الألفاظ الطبية المعدنية.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج التي توصَّل إليها البحث، إضافة إلى التوصيات المقترحة.

فهرس المصادر والمراجع: ويضم الكتب، والمصادر الشرعية، والمراجع العلمية التي تم الاعتماد عليها في إعداد البحث.

وفي الختام، فإن وُفِّقتُ في هذا العمل، فهو بتوفيق الله وحده، وإن شابه شيء من القصور، فمني ومن تقصيري، وأسأل الله أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأسأله سبحانه أن يُسدد خطاي، وأن يرزقني العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

✍الباحث

د. محمد أحمد عبد العال إسماعيل

مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية بجرجا

التمهيد

السياق ودوره في الكشف عن معاني الألفاظ الطبية في السنة النبوية

"رؤية تأصيلية"

يُعَدُّ السياق من أبرز الأدوات اللغوية التي تعين على فهم النصوص واستكشاف دلالاتها، لا سيما في النصوص الشرعية التي تتسم بالثراء اللفظي والدقة التعبيرية. وتزداد أهمية السياق حين يتعلق الأمر بالألفاظ الطبية الواردة في السنة النبوية، إذ تحمل هذه الألفاظ معانيَ متداخلة بين اللغة والطب، وتختلف دلالاتها باختلاف السياقات التي ترد فيها. ومن هنا، تأتي هذه الرؤية التأصيلية لبيان نشأة نظرية السياق وتطورها، وتسليط الضوء على مفهوم الألفاظ الطبية في السنة ومجالها الدلالي، تمهيدًا لدراسة أثر السياق في تحديد معانيها بشكل علمي ومنهجي.

أولاً: نظرية السياق بين القديم والحديث: النشأة والتطور.

١. تعريف السياق لغةً واصطلاحاً:

أ- السياق في اللغة:

تدور مادة (س و ق) في أصلها اللغوي حول التتابع والحركة المنظمة، وهو ما يظهر بجلاء في استخدام العرب لكلمة (السياق) للدلالة على تتابع الإبل وسوقها. فقد ورد في لسان العرب لابن منظور أنَّ: «السَّوقُ: معروف بسياق الإبل وغيرَها يَسُوقُها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاقٌ شُدِّد للمبالغة. قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [1]، وقيل في التفسير سائقٌ يَسُوقها إلى محشرها، وشَهِيد يشهد عليها بعملها»[2].

---

(١) سورة (ق) آية ٢١.

(٢) لسان العرب ١٦٦/١٠ (س و ق).

يتضح من هذا أن المعنى الأصلي لكلمة (السياق) هو الحركة المنظمة المتتابعة، لا سيما في الإبل أو القوافل، حيث جاء في الصحاح للجوهري: «يقال: وَلَدَتْ فلانةُ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحدٍ: أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية»(١).

وقد تطوَّر هذا المعنى الحسي ليدخل في الاستعمال المجازي. فمن المعروف عند العرب أن المهرَ يُساق إلى بيت الزوجة في شكل إبل أو غنم، ومن هنا أُطلق على المهر لفظ (السياق)، ثم استُخدم هذا المصطلح لاحقًا للدلالة على المهر عمومًا، حتى وإن لم يكن من جنس الماشية (٢).

ويُعزز هذا التطور المجازي ما ورد في أساس البلاغة للزمخشري: « ساقَ النَّعَم فانساقتْ... ومن المجاز: ساق الله إليه خيرًا، وساق إليها المَهْرَ، وساقتْ الرِّيحُ السَّحاب... والمحتَضَر يَسُوقُ سِياقاً... وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و(إليك يُساقُ الحديثُ) وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجِئتُكَ بالحديثِ على سَوْقِهِ: على سَرْدِهِ»(٣).

يتضح مما سبق أن العرب استعملوا مادة (السياق) في المجالات الحسية بداية، ثم نقلوها إلى سياقات التعبير والحديث، فنشأ معنى مجازي يدل على التتابع في الأفكار والكلمات داخل الكلام، وهذا ما أشار إليه الفقهاء في تعريفاتهم، إذ جاء في التعريفات الفقهية: «سِياق الكلام: أسلوبه الذي يجري عليه وقولُهم: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي مدرجةً فيه»(٤).

ومن هنا، يظهر أن السياق في اللغة يتضمن فكرة التتابع والتنظيم، وهو المعنى الذي تطور من سوق الماشية إلى سوق الألفاظ والمعاني في الحديث والنصوص، حيث يكون

---

(١) الصحاح للجوهري ١٤٩٩/٤ (س و ق).

(٢) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٣١/٢.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٤٨٤، ٤٨٥ (س و ق).

(٤) التعريفات الفقهية لـ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، صـ ١١٨.

لكل لفظ موقعه، ولكل جملة دورها في تسلسل الخطاب، كما تُساق الإبل في قافلة منتظمة»[1].

ب-السياق في الاصطلاح:

المعنى الاصطلاحي هو تطور طبيعي للمعنى اللغوي، حيث انتقل مفهوم السياق من مجرد إطار لغوي يحكم المعنى إلى إطار أوسع يشمل المكونات اللغوية وغير اللغوية التي تؤثر في فهم النص وتحليله، وهناك تعريفات كثيرة للسياق؛ فموضوع السياق أُلِّفت فيه كتب ورسائل عديدة، وسأقتصر على ذكر أهم التعاريف؛ لأن الهدف هو إيضاح معنى السياق.

١- مفهوم السياق عند القدامى:

لم يُورد العلماء القدامى تعريفًا مباشرًا لمصطلح السِّياق بصيغته الاصطلاحية، إلا أنهم أشاروا إلى ما يمكن الاعتماد عليه في بناء هذا المفهوم. فقد أولوا السياق أهمية واضحة في فهم النصوص واستنباط المعاني، كما يظهر من أقوالهم.

فمن ذلك ما أورده الزَّركشي في البحر المحيط، حيث قال: «ويجبُ اعتبارُ ما دلَّ عليه السِّياقُ والقرائنُ، لأنَّ بذلك يتبيَّنُ مقصودُ الكلامِ»[2]، وهذا النص يبرز أن السياق يُعدُّ وسيلة أساسية لفهم المقصود من الكلام، إذ يتطلب مراعاة الظروف والعوامل المحيطة بالنَّص، وليس الاكتفاء بالنظر في الألفاظ مفردة.

ومثل ذلك ما أورده ابن دقيق العيد، إذ قال: «لأنَّ السِّياقَ مُبَيِّنٌ للمُجمَلاتِ، مُرجِّحٌ لبعضِ المُحتَمَلاتِ، مُؤكِّدٌ للواضِحاتِ»[3]. ويفهم من هذا أن السياق يُسهم في توضيح

---

(١) ينظر: دلالة السياق لـ: ردة الله بن ضيف الطلحي صـ ٤١، وأثر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعنى التداولي في العربية، د. عبد القادر جعيد.

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٢٩٠/٤.

(٣) شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد ١٢٦/١.

ما يكون مجملاً، ويعين على ترجيح أحد المعاني المحتملة في حال تعدد التفسيرات، كما يعزِّز فهم الواضحات ويؤكدها، مما يزيل اللبس ويقوِّي الاستيعاب.

ومن خلال هذه النقول، يتضح أن مفهوم السياق كان حاضرًا بوعي لدى العلماء، وإن لم يُصاغ له تعريفٌ اصطلاحيٌّ صريح.

ويُعدُ الإمام الشافعي من أوائل من صرَّح بلفظ (السياق) في مجال التحليل النَّصي، إذ عقد في رسالته في أصول الفقه بابًا بعنوان: «الصِّنف الذي يُبَيِّن سياقُهُ معناه»[١]. وهذا يدلُّ على أن الشافعي أدرك أن بعض أنواع الكلام لا يمكن فهمه إلا في ضوء سياقه، وأن الألفاظ لا تحمل المعنى مستقلَّة عن الإطار الذي وردت فيه.

وبالرجوع إلى جهود العلماء السابقين، يمكن القول إن غياب تعريف اصطلاحي مباشر للسياق قد يعود إلى شيوع استخدامه ضمنيًّا، سواء باللفظ ذاته كما عند الشافعي، أو من خلال ألفاظ مرادفة مثل: القرينة، والحال، والمقام، ودلالة الكلام، مما قد صرفهم عن وضع حدٍّ اصطلاحيٍّ خاص به[٢].

٢- مفهوم السياق عند المحدثين:

إذا كان العلماء القدامى قد تناولوا مفهوم السياق دون أن يضعوا له تعريفًا اصطلاحيًّا جامعًا، فإن المحدثين سعوا إلى تحديد هذا المفهوم بشكلٍ أدق، مستفيدينَ من تطور الدراسات اللغوية والدلالية.غير أن المتأمل فيما كتبه المحدثون حول السياق يلحظ أن هذا المفهوم لا يزال يثير بعض الصعوبة، كما أشار كثير من الباحثين، ولا أدلُّ على ذلك من عدم اتفاقهم على تحديد معنى موحد جامع له.

---

(١) الرسالة للشافعي ٦٢/١.

(٢) أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم د. محمود حسن الجاسم، صـ ١٨.

وقد تشكَّلت بشأنه ثلاثة اتجاهات رئيسة، يمكن عرضها على النحو الآتي:

الاتجاه الأول:

يمثل الرأي الغالب بين جمهور الدارسين، ويُعدُّ الأكثر انتشارًا في الدراسات الدلالية العربية، يرى أصحابه أن السياق يشمل كلًا من السياق المقالي (النَّصي) والسياق المقامي (المرتبط بالزمان والمكان والظروف المحيطة).

ومن أقوال ممثلي هذا الاتجاه:

ما ذكره تمام حسان: «هو ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب سواء كانت القرائن مقالية أو حالية»(١).

وكذلك ما قاله فريد عوض حيدر: «علاقة لغوية أو خارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي»(٢).

الاتجاه الثاني:

يرى هذا الاتجاه أنَّ من الضرورة التفريق بين السياق والمقام، معتبرًا أن لكلٍّ منهما دلالة مختلفة. فالسياق يقتصر على المعنى النَّصي أو المقالي، (الكلمات المحيطة داخل النَّص)، أما المقام، فيشير إلى الظروف والملابسات الخارجية التي تُسهم في إيضاح المعنى ورفع اللبس(٣).

الاتجاه الثالث:

يمثله الدكتور/ إسماعيل الحسني، الذي يرى أن المقام أشمل من السياق المقالي. واقترح تقسيم المقام إلى: مقام المقام ومقام الحال، وهو بذلك لم السياق إلى نوعين، وإنما جعل هذين النوعين داخل بنية واحده هي «المقام»، وعَرَّفه بقوله: «المقام عندي

---

(١) البيان في روائع القرآن د/ تمام حسّان ٢٢١/١.

(٢) علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية لـ: فريد عوض حيدر صـ ١٥٧.

(٣) ينظر: السياق وتأويل النصوص نموذج من النصِّ القرآني لـ محمد شتون صـ ٣٠٣ بتصرف.

هو جملة من العناصر اللغوية الصادرة عن الشارع والشروط الخارجية المحددة لحالات استعمال الخطاب، والتي تسهم كلها في ضبط المعنى المقصود من الخطاب الشرعي»[١].

وبالنَّظر إلى هذه الاتجاهات الحديثة، يُلاحظ أن الخلاف بينها لا يعود إلى جوهر المفهوم بقدر ما يعود إلى زاوية النظر إليه: فبعضهم يرى أن السياق يشمل القرائن المقامية والمقالية معًا، بينما يقتصر البعض الآخر على القرائن المقالية فقط، فيما يدمج آخرون هذا المفهوم ضمن مصطلح المقام الأشمل. ومن مجموع هذه الآراء يمكن تقديم تعريف عام للسياق، يُستفاد منه في ضوء ما سبق من جهود قديمة وحديثة، وهو أن: السياق هو مجموعة القرائن الداخلية والخارجية التي تحيط بالنص أو الحدث الكلامي، فتمنحه دلالات جديدة لم يكن ليحملها دونها[٢].

٢- أثر السياق في فهم النصوص:

يُعد السِّياق من المفاهيم الجوهرية في علم اللغة والدراسات النَّصية، لما له من دور حاسم في فهم النُّصوص وتفسيرها تفسيرًا دقيقًا. فالكلمات لا تؤدي معانيها بشكل منعزل، بل تُفهم ضمن محيطها اللغوي وغير اللغوي، وهو ما يُعرف بالسياق المقالي والمقامي. وقد أشار الباحثون إلى أن السياق، سواء كان مقاليًّا أو مقاميًّا، هو المصدر الأساس للقرائن التي يعتمد عليها المتكلم في إيصال المعنى، ويستعين بها المتلقي في إدراكه وفهمه؛ إذ «لا شكَّ أنَّ السِّياقَ ـ مقاليًّا كان أم مقاميًّا ـ هو مصدرُ القرائن، إذ عليه يَتَّكِلُ المُتكلِّم في أن يَلتمِس منه المُتلقِّي القرينةَ المُعِينةَ على فَهم المعنى»[٣].

وقد نوَّه ابن القيم إلى جملة من الفوائد المتعلِّقة بالسياق، فقال: «السياق يرشدُ إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام،

(١) المقام والإفادة من الخطاب الشرعي لـ إسماعيل الحسني صـ ٨٦.

(٢) ينظر: السياق وتأويل النصوص صـ ٣٠٤ بتصرف.

(٣) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية د/ مصطفى حميدة صـ ٨٨.

وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالَّة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته»[1].

ويبرز أثر السياق بوضوح خاص في فهم الأحاديث النبوية وتأويلها، حيث إنَّ بعض النصوص الحديثية تتصل بجانب النبي (ﷺ) البشري، في حين يتعلق بعضها الآخر بجانب التبليغ والرسالة، وهو ما يفرض ضرورة مراعاة السياقات المحيطة بها من ظروف زمانية ومكانية، ومقامات حالية واجتماعية. لذلك لا يصح الاحتجاج بحديث دون فهم السياق الذي ورد فيه، ولا بُدَّ من وضع الحديث في إطاره التاريخي والاجتماعي والثقافي، مع استحضار مقاصد الشريعة التي يرمي إليها[2].

وقد أدرك العلماء الأوائل أهمية النظر في السياق لفهم النصوص، ومن أبرزهم الإمام الشافعي، الذي أشار إلى تعدُّد وجوه الخطاب النبوي، وتنوُّع دلالته بحسب السياق والمقام. قال رحمه الله: «ورسولُ الله عَرَبِيُّ اللِّسان والدَّار، فقد يقولُ القولَ عامًّا يُرِيدُ به العامَّ، وعامًّا يريدُ به الخاصَّ...ويُسألُ عن الشيءِ فَيُجيب على قَدر المَسألَةِ، ويُؤَدِّي عنه المُخْبِرُ عنه الخَبَرَ مُتَقَصًّى، والخَبَرَ مُخْتَصَرًا، والخبَر فيأتِيَ بِبَعْض مَعْناه دون بعض ويُحَدِّثُ عنه الرجلُ الحَدِيثَ قَد أدرَكَ جَوَابَه ولم يُدرك المسألَةَ فيَدُلَّه على حَقِيقَة الجَوَابِ، بِمَعرِفَته السَّبَبَ الذي يَخْرُجُ عليه الجواب. ويَسُنُّ في الشَّيء سُنَّةً وفيما يُخَالِفه أخْرَى، فلا يُخَلِّصُ بَعضُ السَّامِعِين بَينَ اختلاف الحالَينِ اللَّتَينِ سَنَّ فيهما ويسُنُّ سنَّةً في نصِّ معناه، فَيَحْفَظُها حافِظٌ، ويَسُنُّ في مَعنًى يُخَالِفُهُ في معنى ويُجَامِعُه في معنى، سنةً غيرَها، لاختلاف الحالَينِ، فيَحفَظُ غيرُه تِلكَ السنةَ، فإذا أدَّى كلٌّ ما حَفِظَ رَآهُ بعضُ السامِعِينَ اختلافًا، وليس منه شيءٌ مختلفٌ»[3].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ٨١٥/٤.

(٢) ينظر: دور السياق في فهم تصرفات الرسول: دراسة نظرية وتطبيقية في الأحاديث التي تأمر بقتال الناس حتى يؤمنوا لـ محمد صديق صـ ٥١.

(٣) الرسالة للشافعي ٢١٣/١.

وهذا النص يُبرز بجلاء أن اختلاف صيغ الرواية أو ظاهر التعارض في بعض الأحاديث لا يمكن حله إلا بردِّ الحديث إلى سياقه وسببه ومقامه.

وفي السياق نفسه، يُحذر الطاهر ابن عاشور من تجاهل السياق عند استنباط الأحكام الشرعية، ويُبين أن الاقتصار على تحليل الألفاظ دون النظر في القرائن والسياقات قد يؤدي إلى نتائج خاطئة. يقول: «ومن هنا يُقَصِّرُ بعض العلماء ويتوحَّل في خَضخاضٍ من الأغلاطِ حين يقتصر في استنباط أحكام الشريعة على اعتصارِ الألفاظِ، ويُوجِّه رأيه إلى اللفظ مقتنعاً به، فلا يزال يقلِّبه ويحلِّله ويأمل أن يستخرج لُبَّه. ويهمل ما قدمناه من الاستعانة بما يحفَ بالكلام من حافات القرائن والاصطلاحات والسياق. وإنَّ أدق مقام في الدلالة وأحوجه إلى الاستعانة عليها مقام التشريع»[1].

وبناءً على ما تقدم، يتضح أن مراعاة السياق شرط أساس لفهم النصوص وتحديد معانيها بدقة، سواء كانت نصوصًا أدبية أو علمية أو شرعية. فالسياق هو من أبرز المحددات الدلالية التي لا يستغني عنها القارئ أو الباحث؛ إذ لا يمكن للكلمة أن تؤدي معناها الحقيقي خارج السياق الذي وُضعت فيه.

٣- بيان أنواع السياقات المؤثرة في المعنى :

فهم السياق ليس مجرد وسيلة لتفسير النصوص، بل هو عنصر أساس لفهم الجوانب المختلفة المتعلقة باللغة، والثقافة، والمجتمع، وحتى السلوك الإنساني. من هنا تبرز أهمية تناول أنواع السياق، التي تمنحنا رؤية أشمل وقدرة أعمق على تحليل المعاني وتفسيرها بشكل دقيق. يمكن تصنيف السياق إلى عدة أنواع، تشمل:

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور ٣/٨٠.

١) السياق اللغوي: وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي ترد فيه، أي موقعها من الجملة والنص وما يُكْسِبها من توجيه دلالي(١).

ومن هنا يتضح أن السياق يختص بالكلمة وموقعها في النظم، كما أوضح عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، حيث قال: «ليسَ كلامُنا فيما يُفْهَمُ من لفظتينِ مفردَتَين نحو قعد و جلس، ولكنْ فيما فُهم من مجموعِ كلامٍ ومجموعِ كلامٍ آخرَ»(٢).

٢) سياق الموقف (الحال): ويعنى الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعًا لتغير الموقف أو المقام(٣).

وفكرة سياق الموقف أو سياق الحال فكرة قديمة أحياها (فيرث)، وتعد نقطة الانطلاق الحقيقية له، وتمثلت في الإفادة من جهود مالينوفكسي، وإفادته إفادة عظمى من هذه الجهود خاصةً فيما يتعلق بسياق الموقف، إلا أن نظرته إلى هذا السياق كانت مختلفة إلى حد كبير، ذلك أن استعانة كل منهما بهذا النوع من السياق في التفسير اللغوي قد تأثرت تأثيرًا بينًا بتخصص كل منهما(٤)، وفي هذا السياق يقول علي عزت: « إنَّ كلاً من مالينوفسكي وفيرث يستخدمان هذه النظرية بطريقة مختلفة، ويرجع هذا بالضرورة إلى أن مالينوفسكي كان عالمًا انثروبولوجيًا، أفضت به دراساته للأجناس البشرية إلى

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة لـ استيفن أولمان صـ ٥٤، ٥٥.

(٢) دلائل الإعجاز لـ عبد القاهر الجرجاني صـ ٢٦١.

(٣) ينظر: علم الدلالة د. أحمد مختار عمر صـ ٧١.

(٤) دلالة السياق لرَدَّة الله بن رَدَّة بن ضيف الله الطلحيّ صـ ١٥٧.

اهتمامه العارض باللغة، بينما كان فيرث عالمًا لغويًّا مهتمًّا بالثقافة الإنسانية بالدرجة التي تعينه على تكوين نظرية لغوية »[١].

لقد قدَّم فيرث مفهوم (سياق الحال) بوصفه إطارًا منهجيًّا يمكن تطبيقه على الظواهر اللغوية[٢]، وهو كما وصفه بالمر: «جزءًا من أداة اللساني تمامًا مثل التصانيف القواعدية التي يستعملها»[٣].

أمَّا الدكتور/ تمام حسان فيرى أنَّ (سياق الحال) عند فيرث، هو نوع من التجريد من البيئة، أو الوسط الذي يُقال فيه الكلام، وهو يشمل كافة أشكال النشاط اللغوي من كلام وكتابة. ويقارن د. تمام حسان هذا المفهوم بنظرة بلومفيلد السلوكي، الذي حصر (سياق الحال) في ظواهر مادية قابلة للرصد داخل إطار الأحداث العلمية، ما جعله يتجاهل كثيرًا من الحقائق المتعلقة بالكلام[٤].

ومن خلال تحليل آراء فيرث، يستنبط الدكتور السعران مجموعة من الأسس التي يبنى عليها (سياق الحال) في دراسة المعنى، ويخلُص إلى أنَّ فهم المعنى الكامل لأي نص لغوي يتطلب ما يلي:

١. تحليل النَّص اللغوي على مختلف مستوياته: الصوتية، الفونولوجية، الفونولوجية، الصرفية، النحوية، والمعجمية.
٢. توضيح سياق الحال، من خلال تحديد شخصية المتكلم، وشخصية السامع، والظروف المحيطة بالكلام....إلخ.
٣. بيان نوع الوظيفة الكلامية: مثل التمني، الإغراء...إلخ.

---

(١) اللغة ونظرية السياق صـ ٢٣.

(٢) ينظر: اللغة ونظرية السياق صـ ٢٣.

(٣) علم الدلالة لـ بالمر صـ ٦٣.

(٤) ينظر: الأصول د. تمام حسان صـ ٣٣، وينظر: السياق الدلالي والصوتي في سورتي النجم والرحمن بحث للدكتورة/ جيهان حافظ محمد إسماعيل صـ ١٤٣٤.

٤. وأخيرًا، رصد الأثر الذي يحدثه الكلام في المتلقي، كأن يكون ضحكًا، تصديقًا، سخريةً...إلخ [١].

٣) السياق العاطفي: هو السياق الذي يحدد طبيعة استخدام الكلمة، سواء كانت تُستخدم بانفعال قوي أو ضعيف، وما إذا كان استخدامها موضوعيًّا محايدًا أم عاطفيًّا مشحونًا بالمشاعر[٢].

أي أن هذا السياق يؤثر بشكل مباشر على تفسير المعاني وفهم الرسائل، حيث يمكن أن تغير العواطف من نبرة الكلمات أو تدفع المستمع إلى إدراك النَّص بشكل مختلف عن معناه الحرفي، ما يجعل المعنى يتغير تمامًا تبعًا للسياق العاطفي المحيط بها، وقد أكد العالم (ميبه) ذلك بقوله: إن اللفظ لا يقتصر في دلالته على المعنى العقلي فحسب، بل كثيرًا ما يحمل في طيّاته لونًا من الإحساس والشعور؛ فكلمة (جنينة) لا تعني مجرد حديقة صغيرة، بل توحي أيضًا بالود والحنان، وكلمة (قصر) لا تُفهم فقط على أنها منزل واسع، بل تثير في النفس شعورًا بالإعجاب والرَّهبة، لما يرتبط بها من هيبة وسُكنى الأمراء[٣].

٤) السياق الثقافي، يُقصدُ به: « تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تُستخدم فيه الكلمة»[٤].

وهو بذلك يُشكِّل بُعدًا نسبيًّا عن سياق الموقف، الذي يُعنى عادةً بالمعطيات الاجتماعية الآنية أو الظروف المصاحبة لعملية التخاطب. وعلى الرغم من هذا التمييز، فإنَّ السياق الثقافي يظل جزءًا لا يتجزأ من عناصر المقام بشكل عام. وتتجلَّى أهمية السياق الثقافي

---

(١) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران صـ ٣١٢.

(٢) ينظر: علم الدلالة د. أحمد مختار عمر صـ ٧٠.

(٣) ينظر: الألسنية محاضرات في علم الدلالة لـ نسيم عون صـ ٥١.

(٤) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر صـ ٧١.

في اختيار المفردات تبعًا لانتماء المتكلم الطبقي أو الثقافي. فعلى سبيل المثال، يستخدم المثقف العربي المعاصر ألفاظًا مثل «زوجة» أو «مدام» للإشارة إلى شريكة حياته، بينما يفضِّل الرجل العادي استخدام كلمة «مَرَه» في السياق نفسه. ويكشف هذا التفاوت عن أثر الثقافة في توجيه الألفاظ والمعاني ضمن السياقات الاجتماعية المختلفة [١].

ويُعدُّ السياق الثقافي من الركائز الأساسية في عملية الترجمة على وجه الخصوص، إذا لا يمكن للمترجم الاستغناء عنه بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنص المترجم حتى يقارب الصواب في ترجمة محتواه، لأن الترجمة صعبة للغاية سيما إذا تعلق الأمر بالنَّص المقدس، أو بالنَّص الأدبي أو بالنَّص الفلسفي[٢].

فالسياق الثقافي ليس مجرد ألفاظ ساكنة، بل هو سلسلة لا نهائية من المعاني التي تنبثق من التفاعل مع ثقافات متعددة[٣].

وبالنظر إلى تعدد أنواع السياقات وتداخلها، يمكن تبسيط هذه الأنواع وتقسيمها إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: السياق اللغـــــوي:

يركز هذا النوع على المستويات المختلفة للغة، المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي. ويهتم بتحليل الكلمات داخل النص، وتوضيح العلاقة بين مفرداته، مما يساعد في تفسير المعنى الصحيح للكلمة بناءً على موضعها في الجملة وعلاقتها بسائر الكلمات[٤]، ويعد السياق اللغوي أساسًا في تحديد القيمة الدلالية لأي عنصر لغوي، حيث تساهم القرائن المحيطة ـ سواء كانت سابقة أو لاحقة ـ في توجيه المعنى، وقد تؤدي إلى تغييره بالكامل، كما يلعب هذا السياق دورًا مهمًّا في تنظيم النصوص ما بين

(١) ينظر: مبادئ اللسانيات د. أحمد محمد قدور صـ ٣٩٥.

(٢) قراءة النص وسؤال الثقافة لـ عبد الفتاح أحمد يوسف صـ ٣١.

(٣) قراءة النص وسؤال الثقافة صـ ٣١.

(٤) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين د. عواطف كنوش المصطفى صـ ٥٣.

الوضوح والغموض، وفي اختيار الصيغ اللغوية الأنسب حسب المقام [1]، حيث إنَّ « العناصر المكونة للجملة لن تبقى بدون تغيير إذا صُرِفَ عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينة ما»[2].

أما القسم الثاني: سياق المقام (أو سياق الحال):

يستمد هذا النوع أهميته من الطبيعة الاجتماعية للغة، فهي وسيلة يستخدمها الإنسان للتعبير عن أفكاره واحتياجاته في سياقات اجتماعية محددة. ولا يمكن فصل اللغة عن واقعها الخارجي، فهي ليست كيانًا نظريًّا، بل أداة تعبير وتفاعل مع العالم المحيط، تتأثر به وتؤثر فيه في الوقت نفسه. ويشمل هذا السياق عناصر متعددة مثل شخصية المتكلم، والسامع، والظروف الزمانية والمكانية، والوظيفة الكلامية، والأثر الناتج عن الخطاب [3].

ومن خلال هذا العرض السابق لتعريف السياق وأنواعه، يتبيَّن أن السياق - بأنواعه المختلفة: اللغوي، والتاريخي، والاجتماعي، والثقافي - يمثل عنصرًا محوريًا في فهم النصوص وتفسيرها تفسيرًا دقيقًا. فهو يجمع بين القرائن الداخلية للنص والعوامل الخارجية المحيطة به، ما يساعد في تجنُّب الخطأ في الفهم أو التأويل، ويُظهر في الوقت نفسه شمولية هذا المصطلح وأهميته.

***

(١) ينظر: أثر السياق في تغاير دلالة الكلمة بحث للدكتورة/ منى عبد الله على فراج صـ ٢٧٥٥.

(٢) النحو والدلالة د. محمد حماسة عبد اللطيف صـ ١١٧.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب صـ ١٢٥.

ثانياً: الألفاظ الطبية في السنة النبوية: مفهومها ومجالها الدلالي.

تُعدُّ الألفاظ الطبية الواردة في السنة النبوية مجالًا خصبًا للدراسة والتحليل، لما تضمنته من إشارات وإرشادات تتعلق بصحة الإنسان في بُعديها الجسدي والنفسي، ضمن إطار متكامل يجمع بين التوجيه الديني والمعرفة التجريبية. وتنبع أهمية هذا الموضوع من ارتباطه المباشر بحياة الإنسان وسلامته، فضلًا عن كونه يعكس نظرة الإسلام المتوازنة إلى الطب كعلمٍ وخبرةٍ في ضوء الوحي. ومن هنا، تسعى هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الألفاظ الطبية وتحديد دلالاتها، وإبراز مكانتها ضمن المنظومة النبوية، فضلًا عن مناقشة طبيعة الطب النبوي من حيث كونه وحيًا أم اجتهادًا بشريًا، ثم عرض تصنيفاته الرئيسة التي تشمل الطب الوقائي، والعلاجي، والنفسي الروحي، بما يسهم في بناء رؤية شاملة تُجلي معالم الهدي النبوي في هذا المجال الحيوي.

١. تعريف الألفاظ الطبية في السنة النبوية:

الطب في اللغة هو مصدر الفعل: (طَبَبَ)، ويقال: طَبَّهُ طَبًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ: دَاوَاهُ، ويُقال للعالم بالطِّبِّ: رَجُلٌ طَبٌّ وطَبِيبٌ، والمُتَطَبِّبُ: الَّذِي يَتعاطى عِلم الطِّبِّ، وتَطَبَّبَ لَهُ: سأَل لَهُ الأَطِبَّاءَ، وطبَّ فلانٌ طبًّا: مَهرَ، وحَذَقَ[١].

أما الطب في الاصطلاح، فقد عُرِّف بأنَّهُ: «علمٌ بقوانين تُعرف بها حالات الصحة والمرض وتأثير الأدوية»[٢]. وقيل أيضًا: «هو علم يعرف به حفظ الصِّحَةِ وبرء المرض»[٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٥٣٣/١ (ط ب ب)، والمصباح المنير للفيومي ٣٦٨/٢ (ط ب ب)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر ١٣٨١/٢.

(٢) معجم لغة الفقهاء لـ محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي صـ ٢٨٨.

(٣) التوقيف علم مهمات التعاريف للمناوي صـ ٢٣٥.

تعريف الطب النبوي:

أمَّا الطب النبوي، فقد عرَّفه محمود نسيمي بأنه: «مجموع ما ثبت وروده عن رسول الله (ﷺ) مما له علاقة بالطب سواء كان آية قرآنية كريمة أو أحاديث نبوية شريفة»[١].

وعرَّفه معتز الخطيب بأنه: «الأحاديث الصادرة عن النبي (ﷺ) في مسائل تتعلق بالطبِّ: من علاج ودواء ووقاية ورقية ونحوها» [٢].

كما عرَّفه حسان شمسي باشا، بقوله: « الوصفات والطرق التي ثبتَ عن النبي (ﷺ) أنَّهُ تداوى بها هو أو داوى بها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أو أوصى بها، وكلَّ نصائحه فيما يخص صحَّة الإنسان والعناية به »[٣]، وتشمل ذلك ما أوصى به (ﷺ) من طعامٍ أو شرابٍ أو رقيةٍ، وكلّ ما يرتبط بصحة الإنسان[٤].

٢. بيان أهمية الطب النبوي ومكانته:

أسهمت السنة النبوية المشرفة في إثبات أهمية الطب والتداوي، وحثَّت عامة الناس على علاج الأمراض المختلفة، فقد قرَّر النبي (ﷺ) بوجود دواء لكل داء مما يؤدي إلى تحفيز العقل البشري للبحث المستمر بلا هوادة للوصول إلى المسببات الحقيقية للأمراض، وكذلك العثور على الطرق المناسبة لعلاجها[٥].

يقول ابن قيم الجوزية: « كان من هديه (ﷺ) فعلُ التداوي في نفسه، والأمرُ به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هَدْيه ولا هَدْي أصحابه استعمالُ هذه الأدويةِ المركَّبةِ ... بل كان غالبُ أدويتهم بالمُفرداتِ، وربما أضافُوا إلى المفرد ما يعاونُهُ،

---

(١) الطب النبوي والعلم الحديث لـ محمود ناظم النسيمي صـ ٧.

(٢) الطب النبوي ... رؤية نقدية حول ملف الطب النبوي لـ معتز الخطيب https://archive.islamonline.net/?p=9371 ،تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٤/١١/٣٠، ٣:٥م.

(٣) الطب النبوي بين العلم والإعجاز لـ حسان شمسي باشا صـ ٧.

(٤) الطب النبوي وحي أم تجربة لـ سليم بن عيد الهلالي صـ ٧،٨.

(٥) تاريخ الطب العربي د. محمد جابر صدقي صـ ٢.

أو يَكْسِرُ سَوْرَتَهُ وهذا غالبُ طِبِّ الأممِ على اختلافِ أجناسِها من العرب والتُّركِ وأهل البوادي قاطبةً، وإنما عُنِي بالمُرَكَّباتِ الرومُ واليونانيونَ، وأكثر طبِّ الهند بالمفرداتِ. وقد اتفق الأطباءُ على أنه متى أمكن التداوي بالغذاءِ لا يُعدَلُ عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيطِ لا يُعْدلُ عنه إلى المُرَكَّبِ»[١].

وقد مرَّ الطب النَّبوي بمراحل متعددة حتى تبوأ مكانةً ساميةً بين العلوم الحديثة، ومع تقدم العلوم وازدهارها، وازدهار علم الطب، نجد أن الطب النبوي يزداد توهجًا، ويُضيء في سماء العلوم التطبيقية، متبوئًا مكانة الصدارة بينها، هذا التوهج يتجسد في توافق الطب النبوي مع أحدث وأصح النَّظريات الطِّبيَّةِ عبر العصورِ. لكن ما يميز الطب النبوي عن غيره هو أنه لم يقتصر على معالجة الأبدان فقط، بل عالج النفس البشرية فأصلحها، ثم جاء العلاج للجسد وصحته، كما تناول مكان عيش الإنسان والبيئة المُحيطة به، وانتقل بعد ذلك للمجتمع ليعالج جميع جوانبه ويضع الخطط الوقائية له، ولم يغفل أيِّ جانبٍ حتَّى أشدَّ هذه الجوانب خصوصية، كما أن الإسلام رَبَطَ العبادة بالصِّحة، فشرع الله تعالى الكثير من الأحكام التي تُحافظ على الجسد وتقيه، مثل الصوم، والوضوء، وغيرها من الطقوس التي تُساهم في الحفاظ على صحة الإنسان[٢].

مكانة الطب النبـوي في العصر الحديث:

في العصرِ الحديثِ نجدُ أنَّ العنايةَ المتزايدةَ بالطِّبِّ النبويِّ في أوساطِ كثيرٍ من الأطباءِ وعمومِ الناسِ بوصفِهِ ضربًا من الطِّبِّ البديلِ قد بدأتْ تفتحُ دوائرُ الطِّبِّ المُعاصرِ أبوابَ البحثِ فيه. وقد تراجع موقف الطب المعاصر المعارض للطب النبوي، وأصبح هناك اهتمام متزايد بالبحث في فوائده وتطبيقاته العلمية[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لـ ابن قيم الجوزية ٩/٤.

(٢) ينظر: في رحاب الطب النبوي لـ نجيب الكيلاني صـ ٦ بتصرف.

(٣) التأليف في الطب النبوي (نشأته، ومراحله، مع دراسة مقارنة لأهم الكتب المؤلفة فيه) د. نورة عبد الله محمد الغملاس صـ ١٥٠.

وفي ضوء ذلك، أصبَحَ الطبُّ النَّبويُّ اليومَ يتَّجهُ بقوَّةٍ ليحتلَّ مكانةً بينَ العُلُومِ الطِّبيَّةِ الحديثةِ، ممَّا يفتحُ الأفقَ أمامَ المختصِّينَ في الطِّبِّ من المسلمينَ للتعاونِ مع أهلِ الحديثِ لإبرازِهِ بالشَّكلِ الصحيحِ، وتنقيتِهِ من كلِّ ما ليسَ منهُ حتى يَتبوأَ منزلتَهُ اللائقةَ بهِ بينَ العلومِ الطبيةِ(١).

٣. **مناقشة العلاقة بين الوحي والاجتهاد في الطب النبوي**:

بعد أن تبيَّنا مفهوم الطب النبوي وأهميته ومكانته، يحسنُ بنا أن نتوقف عند مسألة جوهرية شغلت العلماء، وهي: هل ما ورد عن النبي (ﷺ) في الشؤون الطبية يُعدُّ وحيًا إلهيًّا يجب الأخذ به، أم أنه اجتهاد بشري محكوم بالسياق الزمني والثقافي الذي عايشه النبي (ﷺ)؟ وقد تنوَّعت آراء العلماء في هذه المسألة، ويمكن تلخيصها في ثلاثة اتجاهات رئيسة:

الرأي الأول: **الطب النبوي اجتهاد بشري**.

يرى أصحابُ هذا الرأي، ومن بينهم ابنُ خَلدُون، أنَّ آراء النبي محمد (ﷺ) في الأمور الطبية كانت من الاجتهاد الشَّخصيّ والمشورة، وليست وحيًا أو تشريعًا ملزمًا. واستدلوا بحديث النبي (ﷺ): «*أَنتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ*»(٢)، واعتبروا الطِّبَّ علمًا تجريبيًّا يقومُ على الخبرةِ والمُلاحظة، وليس على الوحي.

كما ذهب بعضهم إلى تقسيم السنة إلى قسمين:

قسم تشريعي: **يجب الاقتداء به**.

وقسمٌ غير تشريعي: لا يجب الاقتداء به، ويُعد من اختيارات النبي البشرية، مستندين إلى قوله (ﷺ): «*إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرتُكُمْ بِشَيءٍ مِن دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وإِذَا أَمَرتُكُمْ بِشَيءٍ*

---

(١) التأليف في الطب النبوي صـ ١٥٠.

(٢) الحديث ذكره مسلم في صحيحه ١٨٣٦/٤، كتاب: الفضائل، باب: وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ (ﷺ) مِنْ مَعَايِشِ الدُّنيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأيِ.

مِنْ رَأيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»(١)، وقالوا إنَّ الطبَّ يندرجُ تحتَ هذا القسمِ، فيكونُ اتِّباعُ وصاياه النبوية اختياريًّا غير ملزم(٢).

الرأي الثاني: الطب النبوي وحيٌ وتشريعٌ.

في المقابل ذهب الكثيرُ من العلماءِ إلى أنَّ ما وردَ في السُّنَّةِ الشَّريفةِ والقرآنِ الكريمِ هو تَشريعٌ إلهي لا شكَّ فيه، ويجب الأخذ به في جميع جوانب الحياة، بما فيها الشؤون الطبية. واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (٣)، فهذا النص ـ بحسب مُقتضى اللُّغةِ ـ عام وشامل لكُلِّ ما يصدر عن النبيِّ (ﷺ) من أقوال، سواءً في أمورِ الدِّينِ أو الدُّنيا، وكلُّ ذلكَ داخل في أطار الوحي لا مجالَ فيهِ للخطأ، أو الزللِ، كما استندوا أيضًا إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (٤)، وهو نصٌّ صريحٌ بالأمر باتباع ما يصدر عن النبي محمد (ﷺ)، مما يعزز القول بأن الطب النبوي تشريع ملزم(٥).

وبناءً على هذا الرأي، فإن الخلاف بين الفَريقينِ خلافٌ صوري لا حقيقي، إذ إنَّ النَّبيَّ (ﷺ) مؤيَّدٌ بالوحي، لا يُقرُّ على خطأ، كما أشار إلى ذلك الإمام الشَّاطبيُّ بقوله: « فإنَّ الحديثَ إمَّا وحيٌ مِنَ اللهِ صِرفٌ، وإمَّا اجتهادٌ من الرَّسولِ (ﷺ) مُعْتَبَرٌ بوحيٍ صحيحٍ مِنْ

---

(١) صحيح مسلم ١٨٣٥/٤.

(٢) ينظر: فقه الطب النبوي هاني عبد الله الجبير صـ ٣٢ ـ ٣٥ بتصرف.

(٣) سورة (النجم) آية ٣، ٤.

(٤) سورة (الحشر) آية ٧.

(٥) الطب النبوي وحيٌ أم تجربة؟ صـ ٢٣.

كتابٍ أو سنَّةٍ ، وعلى كلا التَّقديرينِ لا يمكِنُ فيه التَّنَاقُضُ مع كتابِ اللَّه؛ لأَنَّهُ (ﷺ) ما ينطِقُ عنِ الهوى، إن هو إلَّا وحيٌ يُوحَى»[1].

الرأي الثالث: موقف وسطي.

بينما اختار فريق ثالث موقفًا وسطيًّا، مفاده أنَّ بعضَ الأحاديثِ النَّبويَّةِ في الطب مَصدَرها الوحي، خصوصًا تلك التي ترتبط بأحكام تتعلَّقُ بالحلالِ والحرامِ، أو ما يتضمن إعجازًا غيبيًّا، كحديث جناحي الذبابة، والرُّقى الشرعية. أما الأحاديث التي تتناول أمورًا طبية اعتيادية، كالعلاج ببول الإبل أو القُسط الهندي أو الحِنّاء، فهي من قبيل الاجتهاد الشخصي للنبي (ﷺ)، نابعة من ثقافته وملاحظاته وتجربته في بيئته[2].

وفي هذا السياق، يقول القاضي عياض: « فمثلُ هذا وأشباهِهِ من أمور الدُّنيَا التي لا مدخلَ فيها لعلمِ ديانةٍ ولا اعتقادِها ولا تعليمِها يجوزُ عليه فِيهَا مَا ذكرناه، إذ ليس في هذا كُلِّهِ نَقيصةٌ ولا مَحطَّةٌ وإنَّمَا هي أمورٌ اعتِياديَّةٌ يَعرِفُها مَن جَرَّبها وجعلها هَمَّهُ وشغلَ نفسَهُ بِهَا والنَّبيُّ (ﷺ) مشحونُ القلبِ بمعرفةِ الرُّبوبيَّةِ ملآنُ الجوانحِ بعلومِ الشريعةِ مُقيَّد البالِ بمصالحِ الأُمَّةِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ»[3].

٤. تصنيف أقسام الطب النبوي:

يُعدُّ الطب النبوي جزءًا جوهريًا من السُّنةِ النَّبويَّةِ المطهَّرة، حيث يحمل بين طيَّاته منظومة متكاملة من الإرشادات الصحية والوقائية، التي تدعو المسلمين إلى الاعتناء بأجسادهم وأرواحهم، انطلاقًا من رؤية تجمع بين المادة والروح، وتعكس شمولية الرسالة المحمدية في رعاية الإنسان.

---

(١) الموافقات للشاطبي ٣٥٣/٤، والطب النبوي وحيٌ أم تجربة؟ صـ ٢٣.

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لـ محمد بن يوسف الصالحي الشامي ١٢٦/١٢، والأحاديث المشكلة في الطب النبوي من الصحيحين "التداوي نموذجًا" بحث للدكتورة/ حنان حسن عبد الرحمن الخشت صـ ١٨٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١٨٥/٢.

وقد اهتمت السنة النبوية اهتمامًا بالغًا بصحة الإنسان من جميع الجوانب، فجاءت توجيهاتها جامعةً بين الوقاية والعلاج والتوازن النفسي والروحي، معتمدةً على الأخذ بالأسباب الحسية والمادية، دون إغفال الجوانب الإيمانية والوجدانية. وفي ضوء ذلك، يمكن تصنيف الطب النبوي إلى ثلاثة أقسام رئيسية تشكل إطارًا صحيًّا متكاملًا:

١. **الطِّبُّ النَّبويُّ الوِقائيُّ**:

يركز هذا القسم على الوقاية من الأمراضِ وتعزيز الصِّحَّةِ العامة، من خلالِ المحافظة على النَّظافةِ، والاعتدال في الطَّعامِ والشَّرابِ، وتنظيم النَّومِ، وتجنُّبِ الإسراف في العادات اليومية.

وقد أولى الإسلامُ اهتمامًا خاصًّا بالصِّحَّةِ في جميعِ جوانِبِها، فجعلَ النَّظافةَ في مُقدمةِ الأولويَّاتِ، وحثَّ عليها كوسيلةٍ أساسيَّةٍ لحفظِ الإنسانِ ووقايَتِهِ منَ الأمراضِ، وهذا يتجلَّى في عديدٍ منَ الأمثلةِ والتوجيهاتِ النَّبويَّةِ، ومن أبرزِ الأمثلةِ على ذلك: الوضوءُ الذي يواظبُ عليه كُلُّ مسلم خَمْسَ مرَّاتٍ في اليومِ، ممَّا يُساهمُ في الحفاظِ على النَّظافَةِ الشَّخصيَّةِ. كما أوصى النبيُّ محمد (ﷺ) بتقليمِ الأظافرِ، وغسل اليدين عند الاستيقاظ، وتغطية الأواني والطعام، كما في قوله(ﷺ): «*إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاثًا، فَإِنَّهُ لا يَدرِي أَينَ بَاتَتْ يَدُهُ*[(١)]» [(٢)].

٢. **الطِّبُّ النَّبويُّ العلاجيُّ**:

يتناول هذا القسم التَّوجيهاتِ النَّبويَّةِ المتعلِّقةِ بعلاجِ الأمراضِ باستخدامِ وسائلَ طبيعيَّةٍ وشرعيَّةٍ. أثبت كثيرٌ منها جدواه العلمية والطبية، مثل: العسلِ، حبَّةِ البرَكَةِ، القُسْطِ الهنديّ، بالإضافةِ إلى وصفِ الحجامةِ كوَسِيلَةٍ فعَّالَةٍ للتَّخلُّصِ من السُّمومِ. فعن ابنِ عبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، أنَّ النبَّيّ (ﷺ) قال: «*الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحجَمٍ، أَو شَربَةِ عَسَلٍ،*

---

(١) صحيح مسلم ١/٢٣٣، كتاب: الطهارة، باب: بَابُ كَرَاهَةِ غَمْسِ الْمُتَوَضِّئِ وَغَيرِهِ يَدَهُ الْمَشكُوكَ فِي نَجَاسَتِهَا فِي الإِنَاءِ قَبلَ غَسلِهَا ثَلَاثًا.

(٢) ينظر: في رحاب الطب النبوي صـ ٢١ ـ ٢٣ بتصرف.

أَو كَيَّةٍ بِنَارٍ، وأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ»(١)، وفي علاجِ الحُمَّى كان النَّبيُّ (ﷺ) يُوصي باستخدامِ الكِمَاداتِ البارِدَةِ، وقد قالَ: *«الحُمَّى مِنْ فَيحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ»*(٢)، وفي أوجاعِ الرَّأس والصُّداعِ كان يضعُ على رأسهِ (ﷺ) عِصابَةً، وقد أكَّدَ العلمُ الحديثُ أنَّ ذلك يُساعدُ فعلاً في تخفيفِ الألَمِ(٣).

ومن خلال هذه التوجيهات، تتجلَّى دعوة الإسلام إلى الأخذ بالأسباب، والابتعاد عن التواكل، حيث أرست السنة النبوية قواعد طبِّية انطلق منها علماء المسلمين، وسبقوا بها كثيرًا من الشعوب في علوم الطب والتداوي.

٣. **الطِّبُّ النَّبويُّ النَّفسيُّ والرُّوحي**:

يُعنى هذا الجانب بتعزيزِ الصِّحةِ النَّفسيَّةِ والطمأنينة الرُّوحيَّةِ للإنسانِ، من خلال القرآنِ والأذكارِ، وإقامةِ الصَّلاةِ، والتَّقرُّبِ إلى اللهِ، ممَّا يُساعدُ في تحقيقِ الطُّمأنينَةِ النَّفسيَّةِ، وتخفيفِ القَلقِ والحُزنِ. قال الله تبارك وتعالى: [وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرءَانِ مَا هُوَ شِفَآء وَرَحمَة لِّلمُؤمِنِينَ] (٤)، وقد أرشدَ النَّبيُّ (ﷺ) إلى الرُّقى الشَّرعيَّةِ فهي شفاءٌ من الحسدِ والعينِ والسِّحرِ بإذنِ اللهِ، والاعتمادِ على الدُّعاءِ والتَّوكُّلِ على الله في جميعِ الأُمورِ، ممَّا يُضفِي توازنًا بينَ الجانبينِ الرُّوحيِّ والماديِّ في حياةِ الإنسانِ(٥)، ومن هدي النَّبيِّ (ﷺ) أنْ يُحدِّثَ الزَّائِرُونَ المريضَ بكلامٍ يُطيِّبُ نَفسَهُ، ويُقَوِّي رُوحَهُ، فإنَّ الرُّوحَ إذَا قَويتْ تَمَكَّنَتْ من دفعِ المرَضِ بإذنِ الله تعالى، وفي ذلكَ تظهرُ عظيمُ أهَمِّيَّةِ عيادةِ المَريضِ(٦).

---

(١) صحيح البخاري ٤٣٨/١٧، كتاب: الطِّب، بَابُ: الشِّفَاءُ في ثلاثٍ.

(٢) السابق ١٢١/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ.

(٣) في رحاب الطب النبوي صـ ١٥ ـ ١٦ بتصرف.

(٤) سورة: الإسراء جزء آية (٨٢).

(٥) تخريج ودراسة الأحاديث في الطبِّ النبويُّ، رسالة ماجستير للطالب: أحمد بن محمد زبيلة صـ ١٠٤٠. بتصرف.

(٦) الهدي النبوي في الطب لـ عبد الله بن جار الله صـ ٥٧ بتصرف.

كما حذَّر النَّبيُّ (ﷺ) منَ الغضَبِ والحسدِ، لِما لهُما من تأثيرٍ ومضارَّ على نفسِ الإنسانِ وصِحَّتِهِ(١).

وقد أكَّدَ الإسلامُ على أنَّ العلاجَ النَّفسيّ يُعدُّ جُزءًا مُهمًّا من العلاجِ الصِّحِّيّ والجسديّ، فَعَلاقَةُ المُسلمِ بربهِ وإيمانُهُ به يزيدانِ من قوَّتهِ النَّفسيَّةِ، ممَّا يُكسبُهُ هُدوءَ النَّفسِ وطُمَأنِينَتَها، كما أنَّ الإيمانَ بالقدرِ يُمكِّنُ المُسلمَ من الإدراكِ أنه لا يُحدثُ شيءٌ إلا بإذنِ الله تعالى، وأنَّ كُلَّ أمرٍ يُدبِّرُهُ اللهُ فيه خيرٌ. وبهذا تَسكُنُ نَفسُهُ وتتحسَّنُ، فيصبحُ أكثرَ قُدرةً على مُواجهةِ الأمراضِ النَّفسيَّةِ والجسديَّةِ(٢).

وهكذا نُدركُ أنَّ أقسامَ الطِّبِّ النَّبويّ تُشكِّلُ نَمُوذجًا شاملاً ومُتكاملاً يُوازنُ بينَ الجوانبِ الوقائيَّةِ والعِلاجيَّةِ والرُّوحيَّةِ، ممَّا يُبرزُ عظمةَ الهدي النَّبويّ في العنايةِ بصحَّةِ الإنسانِ. فالقِسمُ الوِقائيُّ يجسِّدُ حِرصَ النَّبيّ (ﷺ) على الوقايةِ قبلَ العلاجِ، من خلالِ الحثِّ على النَّظافةِ والاعتدالِ في الطَّعامِ والشَّرابِ. أما الطِّبُّ العلاجيُّ، فَيُظهرُ الإرشاداتِ النَّبويَّةِ في استخدامِ الوسائلِ الطَّبيعيَّةِ والشَّرعيَّةِ كالعَسلِ والحِجامَةِ. في حين يُبرزُ الطِّبُّ النَّفسيُّ والرُّوحيُّ أهميَّةَ تَعزيزِ الإيمانِ والاطمئنانِ النَّفسيّ عن طَريقِ الرُّقي والأذكارِ والتَّوكُّلِ على الله، ممَّا يُساعدُ على تحقيقِ التَّوازنِ بين صحَّةِ الجَسدِ والرُّوحِ.

***

(١) إعجاز الطب النبوي د: السيد عبد الحكيم عبد الله صـ ٧ بتصرف.

(٢) المصدر السابق صـ ١٠٧.

٥. تصنيف الألفاظ الطبية في السنة النبوية:

تُصنَّف الألفاظ الطبية في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ إلى عدَّةِ أقسامٍ، وفقًا لمصدرها وطبيعتها وخصائصها، وهي:

الألفاظ الطبية النباتية	الألفاظ الطبية الحيوانية	الألفاظ الطبية المعدنية
البصل	أبوال الإبل	الإثمد
التمرة/ التمر	ألبان الإبل	الماء
الحبة السوداء	العسل	الملح
الحناء		
الخل		
الخَمطُ/الأرَاكُ/السِّواكُ		
السدر		
السفرجل		
السَّنا/ السَّنا مكي		
الشَّعير/ التلبية		
الصبر		
القسط		
الكمأةُ		

***

المبحث الأول

أثر السياق في دلالة الألفاظ الطبية النباتية

تشكِّل الألفاظ النباتية جزءًا مهمًّا من المادة الطبية الواردة في السنة النبوية، حيث وردت أسماء نباتات مختلفة كـ «الصبر» و«السنا» و«الحبة السوداء» وغيرها، تحمل في طياتها دلالات علاجية وتوجيهية. غير أن هذه الدلالات لا تُفهم فهمًا دقيقًا بمجرد النظر في اللفظ مجردًا، بل تتضح أكثر من خلال السياق الذي ورد فيه؛ سواء كان سياقًا لغويًّا، أو سباقًا ولحاقًا، أو مقامًا خاصًّا بالخطاب النبوي. ومن هنا، فإن دراسة هذه الألفاظ في سياقاتها المختلفة تكشف أبعادًا دلالية عميقة، وتبرز العلاقة بين اللفظ ومجاله العلاجي في ضوء الهدي النبوي.

١. البصلُ[(١)]

ورد لفظ «البصل» في عدد من الأحاديث النبوية، أشهرها ما رواه مسلمٍ عن جابر بن عبد الله (ﷺ)، أن النبي (ﷺ) قال:« مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ البَقْلَةِ، الثُّومِ - وقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالكُرَّاثَ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»[(٢)].

---

(١) يُعدّ البصل من أقدم الخضروات التي استخدمها الإنسان، ويتميز بفوائده العلاجية المتنوعة؛ فهو يُستخدم كملطف ومحسن للبشرة، وتساعد بذوره في علاج البهاق. كما يُفيد في علاج السعال الديكي، والربو، والتهاب الرئة، وعسر التبول، إضافة إلى دوره في تعزيز القوة والنشاط. ينظر: الأعشاب دواءٌ لكلِّ داءٍ، تأليف/ فيصل بن محمد عراقي صـ ٤٠ - ٤١.

(٢) صحيح مسلم ٣٩٥/١، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها.

وتكرر هذا المعنى في روايات أخرى، منها ما قاله عمر بن الخطاب (ﷺ): «إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرَتَيْنِ مَا أُرَاهُمَا إِلا خَبِيثَتَيْنِ: هَذَا البَصَلُ وَالثُّومُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى البَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا»[1].

المعنى اللغـــوي:

البَصَلُ في اللُّغَةِ: نباتٌ مَعْرُوفٌ، الوَاحِدَةُ منه «بَصَلَةَ» مِثْلُ: قَصَبٍ وَقَصَبَةَ[2]. وقد جاء في بعض المصادر: «البصلُ: نباتٌ فيهِ ـ مع الحِرَافةِ[3] المقطَّعة ـ حرارة وقبض، والمأكولُ منهُ ما كان أطول فهو أحرف ـ أشدُّ حرارة ـ، والأحمرُ أحرفٌ من الأبيض، واليابسُ من الرطب، والنيُّ من المشويِّ، الواحدة بَصَلَة»[4].

وذكر النَّجفي فوائد كثيرة له، منها: «أنه يُطيب النكهة، ويزيد في الجماع، ويذهب بالتعب، ويقوّي العصب، ويزيد في الخطى ـ أي القوَّة في المشي ـ ويُذهب الحُمَّى ويشدُّ اللثة، ويقوّي الظهر، ويُرقِّق البشرة، ومن دخل بلادًا فيأكل من بصلها يطرد عنه وباءها»[5].

التحليل السياقي:

هذه النصوص النبوية قد تُفهم للوهلة الأولى على أنها ذمٌّ للبصلِ، أو تحريمٌ له، غير أن النظر السياقي في الأحاديث يكشف خلاف ذلك تمامًا.

فالسياق الذي ورد فيه لفظ «البصل» هو سياق تنظيمي تعبدي، يتعلق بآداب الحضور في المساجد، لا بتقويم ذات النبات أو طبيعته الغذائية. فالمعنى الظاهر للنهي لا يتعلق

---

(١) سنن النسائي ٤٣/٢، كتاب: المساجد، باب: من يخرج من المسجد.

(٢) المصباح المنير للفيومي ٥٠/١ (ب ص ل).

(٣) الحِرَافَةُ: الطعم الذي يحرق اللسان والفم ويلذعهما كالفلفل والبصل. معجم متن اللغة لـ أحمد رضا ٦٧/٢.

(٤) محيط المحيط لبطرس البستاني صـ ٤٣ (ب ص ل).

(٥) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للمحقق النجفي ٩٥/٣٦.

بذات البصل من حيث الحل أو الحرمة، وإنما يتعلق بحالةٍ مؤقتةٍ تَطرأُ على من أكلهُ، وهي بقاء الرائحة الكريهة التي قد تُسببُ الأذى للمصلين، أو تُنفر الملائكة من أماكن العبادة.

وقد أجمع العلماء على هذا الفهم، وبيَّنوا أنَّ النَّهي لا يعود إلى حرمة الأكل، بل إلى الأذى المترتب عليه في حال دخول المسجد، كما قال القاضي عياض: «أجمع العلماء على إباحة أكل الثوم والبصل والكراث، وأن النهي إنما هو عن دخول المسجد لمن أكلها حتى تذهب رائحتها»[١].

وأوضح الإمام النووي أن الحديث يدل على كراهة الأكل لمن أراد دخول المسجد، وهذا ما اتفق عليه الفقهاء، حيث قال: «فيه كراهة أكل هذه البقول لمن أراد دخول المسجد، وهذا متفق عليه»[٢].

في حين أكَّد ابن العطَّار أن النهي ليس طعنًا في الطعام، بل منعًا للأذى، إذ قال: «أكل البصل والثوم ونحوهما حلال، والنهي إنما هو عن الحضور مع الجماعة، أو عن حضور المسجد لمن أكل بصلًا أو ثومًا أو نحوهما مما له رائحة كريهة، لا عن أكلها، فإنه جائز بإجماع من يعتد به»[٣].

وهذا الفهم يتسق مع طبيعة المساجد في زمن النبوة، حيث كانت غير مفروشة ولا مكيَّفة، والمصلون يجلسون متقاربين على الأرض، مما يجعل الروائح تنتشر بسهولة، فتسبب الإيذاء. فالنهي هنا جاء سدًّا للذريعة، وتنظيمًا للبيئة التعبدية، لا تشريعًا لتحريم الغذاء. وهذا ما أكَّده الشوكاني في نيل الأوطار، حيث قال: «النهي إنما هو عن حضور المسجد لا عن أكل الثوم والبصل ونحوهما فهذه البقول حلال بإجماع من يعتد به» [٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٤٩٧/٢.

(٢) شرح النووي على مسلم ٤٧/٥.

(٣) العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام ٥٨٩/١.

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ١٧٩/٢.

وأمَّا ابن دقيق العيد فقد فصَّل هذا المعنى، مبينًا أن: «المراد بالنهي منع الأذى، لأن الرائحة الكريهة منهي عنها شرعًا إذا ترتب عليها أذى في موضع العبادة»(١). وبهذا يتضح أنَّ النَّهي جاء لحماية جو المسجد من كل ما يكدِّر صفوه، لا لتحريم نوع من الطعام النافع.

كما أن البلاغة النبوية في الحديث تدعم هذا الفهم، فقد استُعملت فيه ألفاظ من جنس «هذه البقلة» و«الشجرتين الخبيثتين»، وهي تعابير تشير إلى الرائحة لا إلى التحريم. فالوصف بالخبيث لا يُحمل على الخبث الشَّرعي التحريمي، بل هو خبث نسبي مرتبط بالإيذاء الناتج عن الرائحة، وهو من المجاز المرسل الذي يُفهم من خلال السياق.

وهذا يؤكِّد أن الحديث لا يُفهم على ظاهره اللغوي المنفصل، بل في إطار الغاية التي ورد من أجلها، وهي حفظ هيبة المسجد، وصيانة الجماعة من الضرر.

ولعلَّ من العدل في النَّظر أن نبرز ما ثبت علميًا وعمليًا من الفوائد الطبية العظيمة لهذه النبتة المباركة، حيث اعتبرها بعض الباحثين من الأغذية المطيلة للعمر، خاصة إذا تم تناوله نيئًا بانتظام، إذ إنَّ الطهي يفقده كثيرًا من ميزاته الطبية(٢).

وفي هذا السياق جاء في مجلة (كل شيء) الفرنسية قول الدكتور/جورج لوكونسي عن عصير البصل: «يكثر عدد المعمرين في البلدان التي يكثر فيها أكل البصل، وإن مرض السرطان ليس معروفًا بها»(٣).

«ويحتوي البصل على مجموعة واسعة من العناصر الغذائية الضرورية، من أبرزها:فيتامين أ، ب، ث، كما يحتوي على معادن مهمة كالحديد، الفسفور، البوتاسيوم، الصوديوم، إضافة إلى مركبات الكبريت الفعالة، والسكر الطبيعي الآمن لمرضى السكر، ومن أبرز فوائده الصحية:

---

(١) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٣٠٢/١.

(٢) ينظر: معجم النباتات الطبية لـ وديع جبر صـ ٦٦.

(٣) ينظر: الأمراض ومعجزة الوقاية والعلاج صـ ٥٦ ـ ٥٧ (بتصرف).

- ***تنشيط الدماغ والوظائف الذهنية***: بفضل احتوائه على الفسفور، مما يجعله غذاءً مثاليًا لأصحاب النَّشاط الذهني، مثل المفكرين، الكتَّاب، والطلاب، إذ يُساعدهم على أداء أعمالهم بكفاءة ووضوح ذهني دون الشعور بالإرهاق السريع.
- ***كما يُدعم وظائف الكلى***: فالكبريت الموجود في البصل يلعب دورًا حيويًا في تخليص الكلى من الرواسب والسموم، مما يدعم الصحة البولية ويحافظ على الأداء الطبيعي للكلى.
- ***علاج التهابات الغدد والخُراج البارد***: يحتوي البصل على اليود، الذي يُسهم في علاج حالات التهاب الغدد، كما يساعد في شفاء ما يُعرف بالخُراج البارد، وهو نوع من الالتهابات التي لا يصاحبها ارتفاع في درجة الحرارة.
- ***إدرار البول***: يمتاز البصل بقدرته على تحفيز الكليتين لإفراز البول، مما يجعله مفيدًا في حالات احتباس البول أو ضعف تدفقه»[١].

«وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن البصل يحتوي على مركبات كبريتية (مثل الأليسين) التي تساهم في خفض الكولسترول، وخفض ضغط الدم، والحدُّ من تصلُّب الشَّرايين.

كما أثبتت الدراسات العلمية من جامعة (نيوكاسل) بإنكلترة أن البصل يقلِّل من تجلُّط الدم في الأوعية الدموية.

وقد أكَّدت دراسة نشرت في مجلة ***(Prost Loukot Ess Fat)*** على أن للبصل دورًا مثبطًا لصفيحات الدم، حيث يقلل من تجمع هذه الصفيحات، وبالتالي يقلل من حدوث تجلُّط الدَّم»[٢].

هذا التَّكامل بين الرؤية الشَّرعية والفائدة الطبية يعزز فهمنا للحكمة النبوية، ويكشف أن النهي الوارد لم يكن نهيًا عن شيء ضار، بل عن حالةٍ مؤقتة تُفقد المسلم أهلية

(١) ينظر: الطب النبوي لابن القيم صـ ٢٢٣، ومعجم النباتات الطبية صـ ٦٦.
(٢) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ١٥٨.

حضور المسجد بآداب الجماعة، وهي حالة الرائحة المنفرة التي قد تؤذي المصلين وتُنفر الملائكة. وهو ما يجعلنا ندرك أن السياق الدلالي للحديث يمنع من تحميل لفظ «البصل» أي معنى تحريمي أو ذمٍّ مطلق، بل يضعه في إطاره الحقيقي كغذاء طيب، يُراعى عند تناوله حال المكان والمخالطة.

ومن هنا يظهر جمال التشريع النبوي، الذي لا يُقيد الناس بتحريم غير مبرر، بل يوازن بين المنافع والمضار، ويُراعي الأحوال والظروف، ويُنظم البيئة التعبدية بما يحفظ الطهارة الحسية والمعنوية معًا.

فالبصل، في ضوء هذا السياق، يظل طعامًا نافعًا، لكن يُستحب لمن أكله نيئًا أن يُزيل أثر رائحته قبل دخول المسجد، إمَّا بالمضغ أو الطبخ أو التأخير حتى زوالها، حفظًا لجلال المكان، وصيانةً لحرمة الجماعة، ومراعاة لآداب الإسلام في المجتمع. ومن هنا فإن لفظة «البصل» في الحديث لا ينبغي أن تُفهم على ظاهرها اللغوي المجرد، بل في إطارها المقصودي الذي يجعل من البصل غذاءً طيبًا، يُؤكل بشروطٍ من الذوق والنظافة، لا من التحريم والمنع.

***

٢. التَّمرَةُ / التَّمْرُ[١].

ورد ذكر التمر في عشرات الأحاديث النبوية، بألفاظ وأساليب مختلفة، منها ما دل على التمر كغذاء، ومنها ما جعله علاجًا، ومنها ما أدرجه ضمن نسق تعبدي. ومن أشهر الأحاديث:

ما رواه عامر بن سعدٍ، عن أبيهِ، قال: قال رسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ سُمٌّ وَلاَ سِحْرٌ»[٢].

ما روته عائشة (رضي الله عنها)، قالت: قال رسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«يَا عَائِشَةُ، بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ، يَا عَائِشَةُ، بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ» أَوْ «جَاعَ أَهْلُهُ» قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا[٣].

وفي رواية عن سلمانَ بنِ عامرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ (ﷺ): «إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى الْمَاءِ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ»[٤].

---

(١) يُعدّ التمر غنيًّا بالفيتامينات، والمعادن، والسكريات، وله استخدام طبي قديم في المنطقة العربية. ويُستخدم منقوع ثماره وبذوره في علاج أمراض الكلى والحصيات، لاحتوائه على مكونات فعالة كالأملاح والسكريات والمواد الدسمة. ينظر: النباتات الطبية واستخداماتها العلاجية د. وائل محمد الأغواني صـ ٤٨.

(٢) صحيح البخاري ٨٠/٧، كتاب: الأطعمة، باب: العجوة ، وسنن أبي داود ٨/٤، كتاب: الطب، باب: في تمرة العجوة.

(٣) صحيح مسلم ١٦١٨/٣، كتاب: الأشربة، باب: فِي ادِّخَارِ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ لِلْعِيَالِ، وسنن ابن ماجه ١١٠٤/٢، كتاب: الأطعمة، باب: التمر، وسنن الترمذي ٢٦٤/٤، كتاب: أبواب الأطعمة، باب: ما جاء في استحباب التمر.

(٤) سنن ابن ماجه ٥٤٢/١، كتاب: الصيام، باب: ما جاء على ما يستحب الفطر.

وفي رواية عَن سلمة بن قيس، قال: قال رسول الله (ﷺ): «أَطْعِمُوا نِسَاءَكُمْ فِي نِفَاسِهِنَّ التَّمْرَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ طَعَامُهَا فِي نِفَاسِهَا التَّمْرَ خَرَجَ وَلَدُهَا حَلِيمًا، فَإِنَّهُ كَانَ طَعَامَ مَرْيَمَ حِينَ وَلَدَتْ، وَلَوْ عَلِمَ طَعَامًا هُوَ خَيْرٌ لَهَا مِنَ التَّمْرِ لَأَطْعَمَهَا إِيَّاهُ »[1].

التحليل اللغــوي:

التَّمرُ في اللغة: هو اليابس من ثمر النخل، ويُقابله الرُّطب. قال الفيومي: «التَّمْرُ مِنْ ثَمَرِ النَّخْلِ، كَالزَّبِيبِ مِن العِنَبِ، وَهُوَ اليَابِسُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّهُ يُتْرَكُ عَلَى النَّخْلِ بَعْدَ إرْطَابِهِ حَتَّى يَجِفَّ أَوْ يُقَارِبَ الجفاف، ثُمَّ يُقْطَعُ وَيُتْرَكُ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَيْبَسَ»[2]. والمفرد منه: تَمْرَةٌ، وجمعه: تُمُورٌ وَتُمْرَانٌ (بِالضَّمِّ)، وَالتَّمْرُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، فَيُقَالُ: «هذا التَّمْرُ» و «هذه التَّمْرُ»، وكلاهما فصيح. ويقال: «تَمَرْتُ القَوْمَ تَمْرًا» أي أَطْعَمْتُهُمْ التَّمْرَ، من باب «ضَرَبَ»[3].

ومن الاشتقاقات المرتبطة به: (التَّامِرُ) الَّذِي عِنْدَهُ التَّمْرُ، و(التَّمَّارُ) الَّذِي يَبِيعُهُ وَ (التَّمْرِيُّ) مُحِبُّهُ وَ (المُتْمِرُ) الكَثِيرُ التَّمْرِ يُقَالُ (أَتْمَرَ) فُلَانٌ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ التَّمْرُ[4].

التحليل السياقي:

تُبيِّنُ هذه الأحاديث أن «التمر» ورد ضمن سياقات متعددة:

١. سياق الوقاية من السُّم والسِّحر:

يُقدَّم التمر، وبالأخص تمر العجوة، في الحديث النبوي كغذاء يتمتع بخصائص وقائية. فقد ورد في الحديث الشريف ما يشير إلى أن من يتناول سبع تمرات من عجوة المدينة في الصباح لا يصيبه ضرر من سم ولا سحر في يومه، وهو ما يعكس دلالة واضحة على

(١) كتاب الطب النبوي للأصفهاني ٧٢٧/٢.

(٢) المصباح المنير ٧٦/١ (ت م ر).

(٣) ينظر: السابق نفسه.

(٤) مختار الصحاح للرازي صـ ٤٦ (ت م ر).

مكانة هذا النوع من التمر كغذاء علاجي. حيث يكون التمر في هذا السياق أداة للوقاية من الأمراض والأذى الجسدي.

وقد تناول ابن حجر هذا الحديث بالشرح موضحًا أنَّ التمر يحمل في طياته خصائص قادرة على الوقاية من السموم والأمراض(١)، مما يعزز مكانة التمر في الطب النبوي كوسيلة لحفظ الصحة والوقاية من الأخطار. ويتفق معه في هذا الطرح الإمام ابن القيم في كتابه الطب النبوي، حيث أكَّد على أن التمر من الأغذية التي تحتوى على خصائص علاجية قادرة على حماية الجسم من الأمراض وتقوية المناعة(٢).

ولا يقتصر هذا الفهم على التراث الإسلامي فقط، بل تؤكده أيضًا نتائج الدراسات الحديثة، حيث أثبتت الأبحاث أن تمر عجوة المدينة يمتلك خصائص فعَّالة في الحدِّ من التسمم الكبدي، وفي هذا السياق قام الباحثان الدكتور علي الجابري وصدقي سيد من جامعة عُمان بدراسة استمرت لأكثر من عشر سنوات، سعيًا لمعرفة تأثير عجوة المدينة في معالجة لدغات الأفعى. وقد توصلت أبحاثهما إلى أن هذا التمر يحتوي على ترياق فعَّال مضاد لسم الأفعى، وهو ما أدى إلى حصولهما على براءة اختراع في هذا المجال(٣).

٢. **سياق الكفاية الغذائية**:

كما في حديث «*بيت لا تمر فيه جياع أهله*»، فإن اللفظ هنا يُفهم على أنه رمز للغذاء الضروري، ويشرح النووي هذا السياق بقوله: «إنما خصَّ التمر لأنه غالب قوتهم، فكان به تقوم الحياة»(٤). وهذا يعني أن السياق حَكم على معنى التمر باعتباره «مادة قُوت» تقوم مقام الخبز في بيئات أخرى، ما يجعل دلالته تتحدد وظيفيًا.

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٢٣٩/١٠.

(٢) ينظر: الطب النبوي لابن القيم صـ ٢٢٥.

(٣) ينظر: الطب النبوي الوقائي لـ: د. محمد علي البار، د. حسان شمسي باشا ١٩٨/١.

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم ١٦٧/١٠.

٣. سياق تعظيمه كغذاء تعبدي:

وهو ما يتضح في حديث الإفطار على التمر، ووصية النبي (ﷺ) بذلك، كما في حديث: «*إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ*». وهنا يُفهم التمر في سياق تعبدي، حيث يتداخل البعد الروحي بالغذائي، ويُعلِّق مظهر الدين الزَّيْداني على هذا الحديث بقوله: «اختار النبي (ﷺ) التمر لأن التمرَ قُوتٌ وحلوٌ، والنفس قد تعبت بمرارة الجوع، فأَمرَ الشارعُ بإزالة هذا التعب بشيءٍ هو قُوتٌ وحلوٌ، ولا شيءَ بهذه الصفة إلا التمر والزبيب، والتَّمرُ أكثرُ في المدينة من الزَّبيب وأحلى، فلهذا أَمرَ (ﷺ) بالإفطار على التمر»(١).

٤. سياق الصحة والعلاج:

كما في حديث: «*أَطْعِمُوا نِسَاءَكُمْ فِي نِفَاسِهِنَّ التَّمْرَ، فَإِنَّهُ كَانَ طَعَامَ مَرْيَمَ حِينَ وَلَدَتْ*» يبرز هذا الحديث الدور العلاجي والغذائي للتمر في مرحلة ما بعد الولادة. ويُستفاد من هذا التوجيه النبوي أن للتمر تأثيرًا إيجابيًّا على صحة المرأة النفساء، وهو ما أكَّده القرطبي عند قوله: «قال الرَّبيعُ بنُ خَيثَمٍ: ما للنُّفَساءِ عندي خيرٌ من الرُّطبِ لهذِهِ الآيةِ، ولو علم اللَّهُ شيئًا هو أفضلُ من الرُّطَبِ للنُّفَساءِ لَأَطعَمَهُ مَريَمَ ولذلكَ قالوا: التَّمرُ عادَةٌ لِلنُّفَسَاءِ منْ ذلك الوقتِ... وقيلَ: إذا عَسِرَ ولَادُهَا لم يَكُنْ لها خيرٌ من الرُّطَبِ»(٢).

ويُظهر هذا التفسير أن اختيار التمر لمريم (عليها السلام) لم يكن مصادفة، بل لكونه من أفضل الأغذية التي تعين المرأة في فترة الولادة وما بعدها، وهو ما جعل من التمر عادة متوارثة بين النساء في النفاس منذ ذلك الحين.

هذا التصور لم يقتصر على التراث الديني والتفسيري فقط، بل وجد ما يعززه في الطب القديم، حيث قال الأطباء العرب القدماء: إنَّ التمر يُعدُّ غذاءً مثاليًا للمرأة الحامل لما يحتويه من عناصر غذائية مهمة تساعد في الحفاظ على صحة الجنين، كما أن تناوله

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح لمظهر الدين الزيداني ٢٢/٣.

(٢) تفسير القرطبي ٩٦/١١.

قبل الولادة بأسبوع على الأقل يسهم في زيادة انتظام انقباضات الرحم، مما يُسهِّل عملية الولادة ويُخفف من آلامها[١].

وقد أكَّدت الدراسات الحديثة هذه الفوائد، حيث أثبتت الأبحاث الطبية أن التمر لا يقتصر على صحة الأم والجنين، بل يسهم أيضًا في تيسير عملية الولادة الطبيعية، وذلك لما يحتويه من مواد فعالة في تنظيم الهرمونات وتحفيز انقباضات الرحم. وفي هذا السياق، أجريت دراسة علمية على (٦٩) حاملاً تناولن ست تمرات يوميًّا لمدة (٤) أسابيع قبل الولادة، مقارنة بـ (٤٥) حاملًا لم يتناولن التمر، فكانت النتيجة أن الفئة التي تناولت التمر في الأسابيع الأربعة الأخيرة من الحمل احتاجت إلى تحفيز أقل للولادة، مما يدل على فعاليته في تسهيل هذه المرحلة المهمة [٢].

وهكذا، يتكامل ما جاء في الحديث النبوي الشريف، وتفسير العلماء، مع معطيات الطب القديم والحديث، ليؤكد أن التمر ليس مجرد طعام، بل دواءٌ وغذاءٌ يجمع بين الصحة والعلاج، خاصة في مرحلة الولادة وما بعدها.

أقوال العلماء في تحديد دلالة التمر تبعاً للسياق:

اختلف العلماء في تعيين المعنى المراد من التمر بحسب سياق الحديث:

التمر في حديث العجوة مخصوص بالمدينة، ومعناه توقيفي، لا يُفهم على إطلاقه، بل على وجه الخصوصية، والسياق يدل على ذلك، قال المازري في المعلم: « ولعلَّ ذلك كان لأهل زَمَانِهِ (ﷺ) خاصةً أو لأكثرهم إذ لم يثبت عِندي استمرار وقوع الشِّفاء بذلك في زمننا غالبًا وإن وجد ذلك في زماننا في أكثر النَّاس حمل على أنَّه أراد وصفَ غالبِ الحال»[٣].

---

(١) ينظر: الأعشاب دواء لكل داء صـ ٦٧.

(٢) الطب النبوي الوقائي ١٩٩/١.

(٣) المعلم بفوائد مسلم للمازري ١٢١/٣.

وردَّ عليه الخطابي معتبرًا أن التمر بما فيه من الفوائد الغذائية يدفع الأذى عن الجسد، فالحكمة فيه طبِّية أكثر من كونها رمزية، فقال: « وَكَونهَا عوذة من السم وَالسحر إِنَّمَا هُوَ من طَرِيق التَّبَرُّك لدَعْوَة من الرَّسُول سبقت فِيهَا، لَا لِأَن من طبع التَّمْر أَن يصنع شَيْئا من ذَلِك»[(١)].

أما الرازي فقد رأى أن التمر إذا ورد في سياق الطهارة أو القوة أو الشفاء، فلا يُحمل على الحقيقة العينية فقط، بل قد يُقصد به ما يقوم مقام الغذاء الطاهر الحلال المبارك، فيكون له بعد مجازي أيضًا[(٢)].

ربط السياق بالدراسات الحديثة:

تؤكِّد الدِّراسات الحديثة على الفوائد الصحية للتمر بما يتوافق مع ما ورد في السنة النبوية. ففي دراسة نشرت في مجلة (*Eur clin Nutr*) في عام ٢٠٠٢م، قام بها البروفسور (كامبل ميلر) قد أشارت إلى أن تناول غذاء يحتوي على التمر قد أدى إلى فائدة إضافية خفيفة في السيطرة على مستوى السكر، وهناك دلائل متنامية تشير إلى أن تناول غذاء ذي (مشعر سكري) منخفض يمكن أن يخفض مستوى الكولسترول ولو بدرجات قليلة[(٣)].

وفي دراسة نشرتها مجلة (*Journal of Nutrition*) عام ٢٠٢١، تم التأكيد على أن التمر يحتوي على مضادات أكسدة قوية ومواد مضادة للالتهابات، مما يجعله غذاءً مثاليًا للحفاظ على صحة القلب والشرايين[(٤)]. فالدراسات العلمية كما نرى أثبتت قدرة التمر على تحسين الهضم وتنظيم مستوى السكر في الدم، مما يعزز الفهم الصحيح لحديث النبي (ﷺ) حول فائدة التمر في تناول الإفطار بعد الصيام.

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٢٣٥/١.

(٢) ينظر: المحصول للرازي ٢٩٤/١.

(٣) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٣٩.

(٤) السابق نفسه.

كما أظهرت دراسة أخرى في مجلة (*Molecules Journal*) أن التمر يحتوي على الألياف الغذائية والفيتامينات التي تسهم في تعزيز الجهاز الهضمي وزيادة امتصاص المواد المغذية(١)، وهو ما يتفق مع حديث النبي (ﷺ) عن التمر كغذاء يعمل على تحسين الهضم ورفع مستويات الطاقة بسرعة.

وأثبتت دراسة حديثة ـ نُشرت في دورية خاصة بالتغذية الصحية في أمريكا ـ أن التمر هو مصدر الغذاء المثالي تقريبًا؛ لاحتوائه على ما لا يقل عن ١٥ نوعًا من المعادن المهمة، فضلاً عن السيلينيوم، وهي مادة مضادة للسرطان وتساعد على تقوية المناعة، وعلاج فقر الدم، وتقوية القلب نتيجة نسبة البوتاسيوم العالية الموجودة داخله(٢).

يمكننا إذًا أن نستنتج أن دور السياق في تحديد معنى التمر في السنة النبوية لا يقل أهمية عن باقي الأدوات اللغوية التي استخدمها النبي (ﷺ). إذ إن السياق يحدد معنى اللفظ ويكشف عن الأغراض المتعددة التي ورد فيها. وقد أكد العلماء عبر مختلف العصور أن فهم التمر في الحديث النبوي يتطلب فحص السياق الذي ورد فيه اللفظ، سواء كان سياقًا غذائيًا، وقائيًا، تعبديًا، أو علاجيًا. وبتضافر هذه الأقوال مع الدراسات الحديثة، نجد أن التمر لا يعد مجرد غذاء تقليدي، بل هو طعام يحمل في طياته فوائد صحية وروحية متكاملة، تتماشى مع ما أوصانا به النبي (ﷺ) في سيرته وحياته.

***

(١) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٣٩.

(٢) النبات في القرآن.. التمر.. إعجاز تثبته الدراسات العلمية حول قدراته الشفائية العالية.

٣. الحَبَّةُ السَّوداءُ[١].

تُعد الحبة السوداء من الأدوية النبوية التي حظيت باهتمام كبير في السنة المطهرة، ومن أبرز الأحاديث التي تناولت هذه الحبة العجيبة ما يلي:

ما روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن النبي (ﷺ) قالت: «إنَّ هذه الحَبَّةَ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إلا السَّامَ»[٢].

وما رُوي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: «مَا مِنْ دَاءٍ، إلا فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنْهُ شِفَاءٌ، إلا السَّامَ»[٣].

التحليلي السياقي:

يتفق الحديثان في المعنى العام، وهو بيان الفعالية العلاجية الشاملة للحبة السوداء، غير أنهما يختلفان في الأسلوب البلاغي والتعبيري. فحديث عائشة (ق) جاء بأسلوب خبري مباشر، يُقَرِّر الحقيقة بوضوح، ويعين المقصود باستخدام اسم الإشارة «هذه»، مما يبرز حضور الحبة السوداء الحسيِّ والمعنوي في الخطاب النبوي. بينما حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) اتخذ أسلوبًا بلاغيًّا أعمق، ابتدأ بـ «ما من داء» وتلاه بـ «إلا»، وهو

---

(١) الحبة السوداء: هي الشونيز في لغة الفرس، وهي الكمون الأسود، وتسمى الكمون الهندي، قال الحربي، عن الحسن: إنها الخردل، وحكى الهروي: أنها الحبة الخضراء ثمرة البطم، وكلاهما وهم، والصواب: أنها الشونيز. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٢٧٣/٤.

(٢) صحيح البخاري ١٢٤/٧، كتاب: الطب، باب: الحبة السوداء، وسنن ابن ماجه ١١٤١/٢، كتاب: الطب، باب: الحبة السوداء، وسنن الترمذي ٤٥٣/٣، بلفظ: « عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ »، كتاب: أبواب الطب، باب: ما جاء في الحبة السوداء.

(٣) صحيح مسلم ١٧٣٦/٤، كتاب: السلام، باب: التداوي بالحبة السوداء، ومسند الإمام أحمد ٢٣/١٥.

أسلوب قصر يفيد الحصر والتوكيد، ويُعمِّق شعور المتلقي بشمول أثر الحبة السوداء في العلاج.

غير أن كليهما ينتهي بالاستثناء «إلا السام»، وهو الموت كما فسره العلماء[١]. وهذا الاستثناء يبرز فلسفة الإسلام الواقعية، التي تجمع بين الدعوة للتداوي والأخذ بالأسباب، مع الإيمان بحدود هذه الأسباب أمام قضاء الله وقدره. وهنا يُشير الكرماني إلى دقة التركيب بقوله: «ويحتمل إرادة العموم لكن بتركبه مع غيره بل يتعين العموم بدليل الاستثناء؛ لأن جواز الاستثناء معيار جواز العموم، وأما وقوع الاستثناء فهو معيار وقوع العموم»[٢].

لفظة «الحبة السوداء» هنا تشير في ظاهرها إلى نبات (Nigella Sativa)، المعروف بحبة البركة، والتي كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام باسم «الشونيز»، وتُستعمل لأغراض طبية وغذائية[٣].

من الناحية اللغوية، لفظ «الحبة» تعني البذرة الصغيرة، و«السوداء» صفة للونها[٤]. لكن هذا المعنى المجرد لا يعبر عن المقصود الكامل في الحديث، فالسياق هنا يُسهم بدور أساسي في ضبط دلالة اللفظ وتقييده أو تخصيصه أو نقله من المعنى الحسي المباشر إلى المعنى البلاغي أو المجازي الأعمق، الذي يتسق مع طبيعة الخطاب النبوي.

وتتجلى أهمية السياق بشكل أوضح حين ندرك أن الحديث لا يقتصر على التوجيه العلاجي أو الطبي المحض، بل يُعد أيضًا بيانًا إيمانيًا متكاملاً، يعكس رؤية الإسلام المتوازنة التي تجمع بين الأخذ بالأسباب المادية والتسليم بقدرة الله ومشيئته. ولهذا السبب كان الحديث محل عناية واهتمام من قبل العلماء والمفسرين والمهتمين بالطب

---

(١) ينظر: منحة الباري شرح صحيح البخاري للسنيكي ١٢/٩.

(٢) السابق نفسه.

(٣) ينظر: النباتات الطبية واستخداماتها العلاجية صـ ١٦.

(٤) ينظر: السابق نفسه، ومعجم الأعشاب الطبية في الوطن العربي صـ ١٣٢.

النبوي واللغويين على حد سواء. غير أن إدراك المعنى الحقيقي لهذه اللفظة لا يكتمل بالنظر في دلالتها اللغوية فقط، بل يتطلب النظر في السياق الخطابي والشرعي والبلاغي الذي وردت فيه، لفهم مقصد النبي (ﷺ) على وجهٍ أدق.

ويتضح هذا البعد السياقي بجلاء في قوله: (ﷺ): «*إِنَّ فِي الحَبَّةِ السَّوداء شفاء*»، إذ نلحظ هنا دقة التعبير النبوي في استخدام حرف الجر «في» بدلاً من القول «هي شفاء»، مما يدل على أن الشفاء موجود ضمنها، وليس نابعًا من ذاتها بالضرورة. وهذا التعبير يوحي بأن أثر لحبة السوداء في العلاج ليس مطلقًا أو ذاتيًا، وإنما هو مرتبط بعوامل عدة، منها كيفية استخدامها، ونوع المرض، وحالة المريض، فهي سبب من أسباب الشفاء، وليس الشفاء مضمونًا بمجرد استخدامها في كل الأحوال. وقد أشار الإمام النووي إلى هذه الدقة في الفهم في شرحه لصحيح مسلم، حيث قال: «المراد أنها نافعة من كل داء يكون علاجُه بها، فإنها لا تُجدي في كل داء، وهذا كقوله تعالى:﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا[1] ﴾»[2]، حيث إنَّ المقصود بـ (كل شيء) هو ما جرت العادة بتدميره، لا العموم الحقيقي.

ومما يؤكِّد هذا التَّقييد السِّياقي، الاستثناء الوارد في الحديث: «إلا السام» ـ أي الموت ـ وهو قيد يخرج المعنى من الإطلاق إلى التخصيص ويمنع الفهم الحرفي لكلمة «كل داء»، وهذا الاستخدام شائع في اللغة العربية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [3]، أي من كثير من الأشياء، لا جميعها على الإطلاق[4].

---

(١) سورة الأحقاق من آية: (٢٥).

(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي ٣٠٤/٢.

(٣) سورة النمل من آية: (٢٣).

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم ١٥٥/٦.

وينقل ابن حجر عن الخطابي قوله: « (من كل داء) هو من العام الذي يراد به الخاص؛ لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدواء بمقابلها، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة»[١].

وهذا هو أيضًا ما ذهب إليه الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: «تدمر كل شيء»، إذ بيَّن أن المقصود: «كل شيء مما جرت العادة بتدميره، لا جميع الأشياء على الحقيقة»[٢].

وقد علَّق ابن أبي حمزة على هذا الفهم بقوله: «تكلم ناس في هذا الحديث وخَصُّوا عمومه وردُّوهُ إلى قول أهلِ الطب والتجربة، ولا خلاف في غلط ذلك... فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم»[٣].

وهذا الفهم ينسجم مع الرؤية النبوية العامة التي تقوم على مبدأ الأخذ بالأسباب دون إسناد الفاعلية إليها استقلالاً، وقد قال النبي (ﷺ): «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، لَمْ يَضَعْ دَاءً، إلا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً»[٤]، وهو إقرار بمبدأ السببية وتنوع الأدوية، دون الاقتصار على دواء بعينه.

وقد أشار ابن القيم إلى هذه الخصائص بقوله: «الحبة السوداء نافعة من جميع الأمراض الباردة، وتدخل في الأمراض الحارة اليابسة بالعَرَض....»[٥].

كما أضاف أهل الطب وصفًا دقيقًا لها بأنها: حارة يابسة، مذهبة للنفخ، نافع من البلغم مفتحة للسدد...، وقد استخدمت في وصفات متعددة منها: العسل والماء الحار، أو النقع

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٤٥/١٠.

(٢) ينظر: تفسير الرازي ١٨٤/٢٨.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٢٣٧/٢١.

(٤) سنن ابن ماجه١١٣٧/٢، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء.

(٥) الطب النبوي لابن القيم صـ ٢٢٩.

في اللبن، أو السَّعُوط [1]. وكل ذلك يدل على ضرورة فهم السياق العملي والطبي في استعمالها.

وفي سياق علمي معاصر، أشار الدكتور/ حسان شمسي باشا: إلى أنَّ الحبة السوداء ثبتت فعاليتها في تقوية جهاز المناعة، ومكافحة الأمراض المزمنة كالسرطان، والإيدز، عندما استُخدمت في معهد (أكبر) بالولايات المتحدة الأمريكية، كما أظهرت دراسة بجامعة (Kings Collegs) في لندن أن زيت الحبة السوداء يحتوي على:

١. الزيت الطيار بنسبة (٤٥%) ويحتوي على المادة الفعالة (الثميوكينون).
٢. الزيت الثابت: بنسبة (٣٣%).

وأكَّد الباحثون أنَّ الزيت الطيار فعَّال في مقاومة التهابات المفاصل، وهناك إشارات مبدئية إلى فائدتها في علاج الربو القصبي والتهابات القصبات»[2].

ورغم هذه الدراسات، فإن الباحثين يجمعون على أن الحبة السوداء مفيدة ضمن منظومة علاجية، لا كبديل شامل عن الطب الحديث، ولا كدواء شامل لكل داء.

ربط السياق بالدراسات الحديثة:

إذا كان السياق الدلالي للحديث النبوي قد دلَّ على أن الحبة السوداء شفاء من بعض الأدواء لا كلها، وبيَّن أن الشفاء لا ينشأ من ذاتها، بل مما أودعه الله فيها من خواص دوائية، فإن الدراسات الطبية الحديثة جاءت مؤكدة لهذا الفهم ومكملة له من زاوية علمية. فقد أظهرت الأبحاث المعاصرة، ومن أبرزها ما ذكره الدكتور/ حسان شمسي باشا، أن الحبة السوداء – وبخاصة زيتها الطيار المحتوي على مادة «الثميوكينون» – تُسهم في تقوية جهاز المناعة، وتُظهر فاعلية ضد بعض الأمراض المزمنة كالسرطان والإيدز، كما بيَّنت تجارب أخرى فائدتها في مقاومة التهابات المفاصل والربو والتهابات القصبات.

---

(١) ينظر: إعجاز الطب النبوي صـ ٦٧.

(٢) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ١٢٤، ١٢٥.

وهذه النتائج تؤيد المعنى النبوي الذي يُقرُّ بوجود الشفاء في «الحبة السوداء» لا منها استقلالًا، وتنسجم مع قول النووي إن نفعها متعلق بالداء الذي يصلح علاجه بها. كما أن هذه الأبحاث، رغم إثباتها فوائد ملموسة، لا تدَّعي أنها دواء شامل لكل داء، وهو ما عبَّر عنه الباحثون المعاصرون حين قالوا إن الحبة السوداء مفيدة ضمن منظومة علاجية، وليست بديلًا كافيًا عن الطب الحديث، ولا علاجًا شاملًا لكل الأمراض، وهو ما يوافق أيضًا التقييد النبوي الصريح بالاستثناء «إلا السام».

وهكذا، نرى أن اللغة والسياق في الحديث قدَّما تصورًا واقعيًا عن طبيعة الشفاء بالحبة السوداء، مؤكِّدين أنها سبب لا أكثر، ثم جاءت الدراسات العلمية الحديثة لتبرهن بالتجربة والملاحظة المخبرية على ما أشار إليه النبي (ﷺ) بدقة متناهية، مما يعكس الانسجام العميق بين الوحي والعقل، وبين الدين والعلم، وبين الدلالة والمعلومة الطبية، ويزيد من وضوح المقصود النبوي بعيدًا عن الفهم الحرفي المطلق.

***

٤. الحِنَّاءُ[١].

ورد في السنة النبوية عدَّة أحاديث تناولت لفظ «الحناء»، وكانت هذه الأحاديث تحمل دلالات متعددة تختلف حسب السياق الذي وردت فيه. وقد أشار النبي (ﷺ) إلى الحناء في عدة مواضع، مما يعكس تعدد استخداماتها بين الزينة والعلاج والاحتفالات الاجتماعية.

ومن أبرز الأحاديث التي تناولت هذه اللفظة ما يلي:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ : « إِنَّ أَحْسَنَ مَا غُيِّرَ بِهِ الشَّيْبُ الحِنَّاءُ (والكَتَمُ)[٢]»[٣].

وعن سَلْمَى أُمُّ رَافِعٍ (رضي الله عنها)، مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَتْ: «كَانَ لا يُصِيبُ النَّبِيَّ (ﷺ)، قَرْحَةٌ، وَلَا شَوْكَةٌ، إِلَّا وَضَعَ عَلَيْهِ الحِنَّاءَ»[٤].

وفي روايةٍ: كان إذا اشتكى أحد رأسه قال: «اذْهَبْ فَاحْتَجِمْ»، وإذا اشتكى رجلَهُ قال: «اذْهَبْ فَاخْضِبْهَا بِالحِنَّاءِ»[٥].

---

(١) تُعد الحناء من أشهر نباتات الزينة والتجميل، لما تحتويه من مواد ملونة وعفصية وراوتنجية. ولها فوائد علاجية، أبرزها تخفيف الصداع وآلام الجسم وقروح الرأس، كما يُنسب للخضاب بها أثر في تقوية الرغبة الجنسية.ينظر: الأعشاب دواء لكل داء صـ ١٦٧.

(٢) الكَتَمُ بفتحتين نبتٌ فيه حُمرَةٌ يُخلَطُ بِالوَسمَةِ ويُخْتَضَبُ به للسَّوَادِ. وفي كتب الطِّبِّ الكَتَمُ مِنْ نَبَاتِ الجِبَالِ وَرَقُهُ كورقِ الآسِ يُخضَبُ به مَدقُوقًا ولهُ ثَمَرٌ كَقَدرِ الفُلفُلِ ويَسْوَدُّ إذا نَضِجَ وقد يُعتَصَرُ منه دُهنٌ يُسْتَصْبَحُ بِهِ فِي البَوَادِي. المصباح المنير ٢/ ٥٢٥ (ك ت م).

(٣) سنن ابن ماجه٢/١١٩٦، كتاب: اللباس، باب: الخضاب بالحناء، والنسائي في سننه ١٣٩/٨، كتاب: الزينة، باب: الخضاب بالحناء والكتم.

(٤) سنن ابن ماجه ١١٥٨/٢، كتاب: الطب، باب: الحناء، والمعجم الكبير للطبراني ٢٩٨/٢٤.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٢٩٨/٢٤.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، «أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ صَدَعَ، فَيُغَلِّفُ رَأسَهُ بِالحِنَّاءِ»[١].

المعنى اللغـــوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «حَنَأَتِ الأَرضُ تَحْنَأُ: اخْضَرَّت، والتفَّ نَبْتُها، والحِنَّاءُ ـ بِالمَدِّ والتَّشْدِيدِ ـ مَعْرُوفةٌ، والحِنَّاءَةُ: أَخصُّ مِنْها، وجَمْعُها حِنَّانٌ، ... وحَنَّأَ لِحْيتَهُ وحَنَّأَ رأْسَهُ تَحْنِيئاً وتَحْنِئةً: خَضَبهما بالحِنَّاء»[٢]. وَقَالَ أَبو حنيفَة الدينَوَرِي: «تَحَنَّأَ الرجل من الحِنَّاء، كَمَا يُقَال: تَكَتَّم من الكَتَم»[٣]. في إشارة إلى استعمالها في التزيين والتخضيب، على نحو ما يُقال في صبغ الشعر أو اللحية.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة نجد أن: «الحِنَّاء (جمعها: حِنَّاء، ومفردها حِنَّاءَة) شجرةٌ من الفصيلة الحِنّائيّة، ورقها يشبه ورق الرُّمَّان، ولها زهر أبيض طيِّب الرَّائحة يُشبه العناقيد ، ويُستخرج من ورقها خِضابٌ أحمر يُستعمل لصبغ الشَّعر أو الأكفّ وغيرها، وتُعرف لَيْلَةُ استخدامها في الأعراس بـ (ليلة الحِنَّاء »[٤].

وعرفت الحناء أيضًا بأنها: «مادة تلوينية قديمة عرفت تاريخيًّا عند الفراعنة بهذا الاسم، وقد شاع استعمالها في العصر الجاهلي عند العرب، والعصر الإسلامي أيضًا، وساعد على انتشارها نشاط التجار العرب الذين كانوا يستوردونها من بلاد الهند على شكل صبغة نباتية، ذات لون أحمر أو أسود»[٥].

---

(١) البحر الزخار للبزار ١٤/ ٢٦٣. وقال: وَهَذَا الحَدِيثُ لاَ نعلمُهُ يُرْوَى عَن النَّبِيّ (ﷺ) إلاَّ مِنْ هَذَا الوجه بهذا الإسناد، ولاَ نعلمُ أسند أَبُو عون، عَن سَعِيد بن المُسَيَّب، عَن أبي هُرَيرة غير هذا الحديث.

(٢) لسان العرب ٦١/١ (ح ن أ).

(٣) تاج العروس للزبيدي ٢٠٤/١ (ح ن أ).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر ٥٧٠/١. وينظر: المعجم الوسيط ٢٠١/١.

(٥) الحناء: وظائفها وطقوسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية) عمران كامل، عز الدين، سليمان خرما إيفا، المجلد (٣٣)، العدد (١)، ٢٠١١م، صـ ١٧١.

التحليل السياقي:

إذا تأملنا هذه الأحاديث مجتمعةً أدركنا أن دلالة لفظ (الحناء) تتغير من حديث إلى آخر بحسب تغير السياق:

أولاً: الحناء في سياق الزينة:

يتبيَّن من حديث أبي ذر (ﷺ) أن السياق الذي ورد فيه الحديث هو سياق زينة ظاهرة، تتعلق بتغيير الشَّيب والتجمُّل بهيئة حسنة لا تدخل في إطار النهي الوارد عن السواد الخالص. وقد قرر العلماء هذا المعنى بوضوح، حيث قال الشوكاني في نيل الأوطار: الحديث يدل على استحباب تغيير الشَّيب، وأن الحناء من أحسن ما يُستعمل لذلك لما فيه من التزين دون التشبه[1].

كما أكَّد الإمام النووي أن تغيير الشيب بالحناء والكتم يُعدُّ من الزينة الشرعية المستحبة، بل ومن السنة النبوية، مشيرًا بذلك إلى مشروعية هذا الفعل من جهة الشرع والزينة في آنٍ واحد [2].

وقد توسَّع ابن القيم في الحديث عن الحناء، فذكر بعض خواصها العلاجية والجمالية، قائلاً: «ومن خواصه: أنه ينبت الشعر ويُقويه، ويُحسنه، ويقوي الرأس»[3]. مما يُبرز أن استعمال الحناء يتجاوز مجرد الزينة الظاهرة إلى تحقيق فوائد بدنية وصحية مباشرة.

ولم يكن هذا الاستخدام للحناء وليد عصرنا الحاضر، بل هو متأصل في تقاليد القدماء الذين استعملوها لتلوين الشعر، ولا يزال هذا الاستعمال شائعًا في القرى والمدن على حد سواء. وعند وضع الحناء على الشعر الأبيض تكسوه لونًا أحمر شبيهًا بلون الجزر، بينما تُعطي الشعر الأسود لونًا أحمر غامقًا، فيجمع بذلك بين التجمل الطبيعي والتغيير المشروع[4].

---

(١) ينظر: نيل الأوطار ١/١٥٥.

(٢) ينظر: شرح النووي ١٥/٩٥.

(٣) الطب النبوي صـ ٦٨.

(٤) ينظر: التداوي بالأعشاب لـ محمد قاسم صـ ٨٠.

ومع تطور الأبحاث، أكَّدت الدراسات العلمية الحديثة القيمة الكبيرة للحناء في العناية بالشعر والجلد. فقد بيَّنت أبحاث المركز القومي للبحوث أنَّ الحناء المخمَّرة والمنطبقة على فروة الرأس لفترة مناسبة تُسهم في تنقيتها من الميكروبات والطفيليات، كما تقلل من الإفرازات الدهنية الزائدة، وهو ما جعل الحناء تحتل مكانه بارزة في صناعة مستحضرات التجميل، خاصة لدى المهتمين بالعناية بالشعر بوسائل طبيعية وآمنة(١).

وقد أشار الدكتور/حسان شمس باشا: إلى أن الدراسات العلمية أثبتت أنَّ الحناء تُعدُّ أفضل صبغة طبيعية للشعر، لأنها لا تسبب ضررًا ولا أذى للشعر أو فروة الرأس، بخلاف المواد الكيميائية التي كثيرًا ما تؤدي إلى آثار جانبيه مؤذية(٢).

وفي ذات السياق نشرت مجلة (*Cutis*) الأمريكية مقالًا رئيسًا تناولت فيه فوائد الحناء، وذكر الدكتور (*Nato*) أن الحناء لا تلتصق بالشعر بشكل دائم، ولا تؤذيه، بل تُقوِي بصيلته وتحميه من التقصف والانقسام(٣).

كما أكَّد الأستاذ الدكتور/ محمد عامر، رئيس قسم الأمراض الجلدية بجامعة الزقازيق في مصر، أن الحناء فعَّالة في علاج مشاكل الشعر الدهني، إذ تُساعد في تقليل الإفرازات الدهنية في فروة الرأس، مما يضفي توازنًا صحيًّا على الشعر(٤).

وبهذا يتضح أن استخدام الحناء في هذا السياق ليس مجرد عادة تراثية، بل هو زينة محمودة شرعًا، مدعومة بفوائد علمية وصحية، ويُفهم ورودها ضمن الأحاديث النبوية في إطار هذا المعنى المتكامل الذي يجمع بين الجمال المشروع والمنفعة الطبية.

---

(١) ينظر: التداوي بالأعشاب صـ ٨٠.

(٢) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٥٤.

(3) Natow A " henna " Journal Cutis ، 1986 ، 37-

(٤) د. محمد عامر عن كتابه «١٠٠ سؤال عن جلدك ـ شعرك ـ أظفارك ».

ثانياً: الحناء في السياق العلاجي:

يأخذ استعمال الحناء في حديث سَلمى أم رافع (ﷺ)منحى مختلفًا عن السياق الزيني، إذ يُوظَّف هنا في مقام التوجيه العلاجي، حيث أُشير إلى استخدام الحناء لعلاج أوجاع الأرجل وقرحة الفم. وهذا التَّحول في السياق يُخرج الحناء من دلالتها الزخرفية التجميلية إلى دلالة علاجية، تُعنى بالتخفيف من الآلام وعلاج بعض الأمراض.

وقد أكَّد ابن القيم هذا المعنى حين أشار إلى الخصائص العلاجية للحناء، فقال: الحناء فيه تبريد وتلطيف للرجلين، وله أثر ظاهر في تسكين ألم المفاصل والحمى الموضعية(١)، مبينًا بذلك أن الحناء لم تكن تستخدم في الزينة فحسب، بل كانت أيضًا جزءًا من الطب النبوي والعلاج الشعبي الناجع.

ويضيف محمد قاسم أن احتواء الحناء على مادة قابضة يجعلها مفيدة في معالجة بعض الأمراض الجلدية، خصوصًا في المناطق بين أصابع القدمين التي تُصاب بما يُعرف اليوم بـ «تينيا» (العدوى الفطرية)، حيث تُسهم الحناء في تجفيف تلك المناطق، مما يُساعد في منع نمو الفطريات وربما القضاء عليها(٢).

وفي تأكيد لهذا التوجه العلاجي، يقول موفق الدين البغدادي في تفسيره لوصفة النبي (ﷺ) بوضع الحناء على القروح: « القرحة علاجها بما يُجفف منها الرطوبة كي يتمكن من إنبات اللحم فيها، والحناء يفعل ذلك لتجفيفه تلك الرطوبة، فإن له قوة محللة تُرخي العضو، فتعين على خروج الشوكة منه»(٣). وهنا تتجلى وظيفة الحناء كعنصر طبي، يتعامل مع القروح والجروح من منطلق علاجي بحت.

ويتوافق مع هذا الطرح ما قرره ابن سينا في القانون في الطب، حيث قال: الحناء نافع لحرارة القدمين إذا استُعمل موضعيًا، وهو مبرد، يقوي الأظافر، ويمنع البثور،

---

(١) ينظر: الطب النبوي صـ ٦٨.

(٢) التداوي بالأعشاب لـ محمد قاسم صـ ٧٩.

(٣) الطب في الكتاب والسنة لموفق الدين البغدادي صـ ٩٨.

ويصلح للأعصاب إذا خلط بالخل[١]. هذا التصور يدل على أن الحناء كانت مادة علاجية معتبرة في الطب القديم، تستخدم لتبريد الأعضاء وتهدئة الالتهابات وتقوية الجلد.

كما أشار الدكتور/ محمود ناظم النسيمي إلى فاعلية الحناء في معالجة أمراض القدمين المختلفة، مثل: السحجات والوخزات التي قد تنشأ من المشي في الطرقات الوعرة أو الأراضي الشائكة، وكذلك العدوى الفطرية بين الأصابع. وبين أن الحناء تساعد في تجفيف الجلد وتقويته ومنع تعفنه، مما يُسهم في التخفيف من أثر الفطريات وتسريع التئام الجروح السطحية[٢].

كل هذه المعاني والوظائف تشير بوضوح إلى أن «الحناء» في هذا السياق ليست زينة ولا تجملاً، بل دواء يُستخدم لأغراض علاجية معينة، والسياق هنا هو العامل الحاسم في نقل دلالة «الحناء» من المجال التجميلي إلى الحقل الطبي العلاجي. وهذا يبرهن على أن تغير السياق يؤدي بالضرورة إلى تغير الدلالة، رغم وحدة اللفظ، مما يُظهر أهمية السياق في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ بدقة.

ثالثاً: الحناء في سياق الألم والصداع والوحي:

يتضح من حديث أبي ذر (ﷺ) أن النبي (ﷺ) إذا نزل عليه الوحي صدع، فيغلف رأسه بالحناء أن استخدام الحناء في هذا الموضع لم يكن يقصد الزينة، بل ارتبط بسياق خاص، وهو حالة الصداع التي كانت تعتري النبي (ﷺ) عند نزول الوحي وهذا السياق يوجه دلالة الحناء نحو معناها العلاجي، لا الجمالي، حيث يظهر أنها استُعملت بوصفها وسيلة لتسكين الألم وتخفيف الأوجاع، ويؤكد ابن القيم هذا المعنى حين يعلق على الحديث موضحًا أنَّ علاج الصداع بالحناء هو علاج «جزئي لا كلي»، يُفيد نوعًا معينًا من الصداع، لا سيما إذا كان ناتجًا عن حرارة ملتهبة، وليس عن مادة يجب استفراغها، فالحناء في هذه الحالة تكون ذات نفع ظاهر، خصوصًا إذا دُقَّت وضُمِّدت بها الجبهة مع

(١) ينظر: القانون في الطب ٤٧٤/١.

(٢) ينظر: الطب النبوي والعلم الحديث صـ ٢٢١، ٢٢٢.

الخل، إذ تُسكن الصداع لما فيها من قوة موافقة للعصب، ويشمل هذا التأثير مواضع الألم الأخرى، لا الرأس فقط. كما أن للحناء خاصية القبض تُقوِّي الأعضاء وتُسكن الورم الحار والملتهب(١).

ومن هنا، يتبيَّن أن استخدام الحناء في هذا الحديث ينتمي إلى مجال التداوي والعلاج، ويعكس طبيعة الحناء العلاجية المستفادة من خصائصها الطبيعية، لا إلى مجال التزين والتجمل. فالسياق الذي وردت فيه الحناء ـ سياق الألم والصداع والوحي ـ هو الذي حدد دلالتها ومعناها، وهو ما يُبرز أهمية فهم السياق في تفسير مدلولات الألفاظ والرموز في النصوص الشرعية.

ربط السياق بالدراسات الحديثة:

إن تأمل السياقات الدلالية لورود لفظ «الحناء» في الأحاديث النبوية يكشف عن وعي لغوي ونبوي عميق بطبيعة هذه المادة واستخداماتها المتعددة، وهو ما بدأ العلم الحديث في تأكيده وتفصيله من خلال الدراسات المخبرية والتجريبية. ففي سياق الزينة مثلاً، يرد لفظ الحناء دالاً على التجمُّل وتغيير الشيب، وهي دلالة تتسق مع نتائج البحوث المعاصرة التي أثبتت أن الحناء مادة طبيعية آمنة لا تضر الشعر، بل تحميه وتقويه وتُضفي عليه مظهرًا جماليًا صحيًا، كما جاء في دراسات منشورة بمجلة (*Cutis*)، وأبحاث المركز القومي للبحوث.

أما حين يرد ذكر الحناء في سياق علاجي، كما في حديث سلمى أم رافع أو في استعمال النبي (ﷺ) لها عند الصداع، فإن الدراسات الطبية الحديثة تُثبت هذه الدلالات العلاجية؛ فقد تم توثيق خصائصها المضادة للفطريات، وقدرتها على تقليل إفراز الدهون، وتسكين الالتهابات الموضعية، مما يتوافق مع ما ذكره العلماء المسلمون الأوائل كابن القيم وابن سينا من آثار مبردة، قابضة، ومضادة للميكروبات.

---

(١) ينظر: الطب النبوي لابن القيم صـ ٦٦، ٦٧.

إن هذا التلاقي بين السياق الدلالي في النصوص النبوية ونتائج الدراسات العلمية الحديثة لا يعكس فقط دقة التعبير النبوي، بل يؤكد أيضًا أن فهم الألفاظ في ضوء سياقاتها يفتح آفاقًا أوسع لتفسير النصوص، ويُبرز صلاحية الهدي النبوي للتطبيق في كل زمان، بشرط استحضار السياق.

***

٥. الخـَلُّ[١].

وردت مادة «الخل» في السنة النبوية ضمن أحاديث متعددة، وكل حديث منها يُظهر الخل في سياق يضفي عليه دلالة تختلف باختلاف الموقف. وهذا التنوع في السياقات يكشف عمق النظرة النبوية لهذه المادة البسيطة، سواء من حيث قيمتها الغذائية أو رمزيتها الأخلاقية أو منافعها الصحية. ومن الأحاديث الواردة في فضل الخل:

ما روي عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) سأل أهله الإدام، فقالوا: ما عندنا إلا الخل. فدعا به، فجعل يأكل به ويقول: « نِعْمَ الْأُدُمُ[٢] الْخَلُّ، نِعْمَ الْأُدُمُ الْخَلُّ»[٣].

---

(١) يُصنع الخل من أنواع متعددة من العصائر والحبوب، وله استخدامات طبية معروفة في الطب العربي، منها: تقليل الصفراء، وتسكين العطش، وتقوية الطحال واللثة، كما يُفيد في علاج التسمم بأكل الفطر، ووجع الأسنان عند التمضمض به مع التسخين. ينظر: التداوي بالأعشاب لـ محمد قاسم صـ ٩١.

(٢) قال الزمخشري: «الأدْم والإيدام الإصلاح والتوفيق، من أدْم الطعام وهو إصلاحُه بالإدام وجعلُه الأدم موافقاً للطعام». الفائق في غريب الحديث ٢٩/١. وقال الأصبهاني: «أي ما يُؤدَم به الطَّعام ويُصلَح به ويُصطَبَغُ، وهذا البِناءُ كَثِير فيما يُفعَل به الشَّيءُ، كالرِّكَاب: لِما يرُكَب به، والحِزام لِما يُحزَم به». المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للأصبهاني ٤٥/١.

(٣) صحيح مسلم ١٦٢٢/٣، كتاب: الأشربة، باب: فضيلة الخل والتأدم به.

وفي رواية: قال جابر: «أَخَذَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِيَدِي إِلَى مَنْزِلِهِ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا أَخْرَجُوا طَبَقًا عَلَيْهِ فَلْقٌ مِنْ خُبْزٍ، فَأَكَلَ، قَالَ: «أَمَا مِنْ أُدْمٍ؟»، قَالُوا: لَا، إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: «الخَلُّ نِعْمَ الْأُدُم» قَالَ جَابِرٌ: فَمَا زِلْتُ أُحِبُّهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)»[1].

وعن عائشة (رضي الله عنها)، أن النبي (ﷺ) قال: «نِعْمَ الْإِدَامُ - أَوْ نِعْمَ الْأُدْمُ - الْخَلُّ»[2].

وعن أم سعيد (رضي الله عنها) عن النبي (ﷺ) قال: «نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي الخَلِّ، فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ»[3].

المعنى اللغوي:

الخَلُّ: ما حمض من عصير العِنب وغيره[4]، وقد قال ابن دريد: هو عَرَبِيّ صَحِيح [5]، والخَلُّ ممَّا يُؤتَدَمُ به، وسمِّي خَلًّا؛ لاختلال طعمُ الحَلاوة منه، ومنه اشتُق الفعل (التَّخْليل)، أي اتِّخَاذُ الخَلِّ [6].

وأما في المفهوم الغذائي والعلمي الحديث، فقد ورد في قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات أن الخل: «تابلٌ مائعٌ نافذ، يُحصلُ عليه من تحويل الكحول (الغول) إلى حامض خَلِّي بتأثير خميرة تُعرف باسم ميكودر ما آستي (*Mycoderma aceti*)، وتُسمى أيضًا زهر الخل»[7].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي ٢١٨/٦، كتاب: الوليمة، باب: الأطباق.

(٢) سنن الدارمي ١٣٠٢/٢، كتاب: الأطعمة، باب: أي الإدام كان أحب إلى رسول الله (ﷺ)، وقال: إسناده صحيح، ومسلم في صحيحه ١٦٢١/٣.

(٣) سنن ابن ماجه ١١٠٢/٢، كتاب: الأطعمة، الأشربة، باب: الائتدام الخل.

(٤) المحكم لابن سيده ٥١٠/٤ (خ ل)، والمغرب في ترتيب المعرب للمطرزي صـ ١٥٣.

(٥) جمهرة اللغة ١٠٧/١ (خ ل ل).

(٦) ينظر: لسان العرب ٢١١/١١ (خ ل ل).

(٧) قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات (موسوعة غذائية صحية عامة) صـ ٢٠٨.

التحليل السياقي:

بالنظر إلى السياق المقامي، يتَّضح أن النبي (ﷺ) لم يكن في مقام بيان فضائل الأطعمة أو مقارنات بين الأغذية، بل كان في سياق حياتي بسيط يعكس تواضعه وقناعته، إذ لم يكن في البيت طعام يُقدم إلا الخل، فمدحه إظهارًا للرضا وشكرًا لله على ما تيسر. أما السياق المقالي، خاصة في رواية أم سعيد، فيضيف بعدًا رمزيًا وتربويًا، حيث يُربط الخل بما كان عليه الأنبياء من زهد وقناعة، ويُعبر عنه كرمز للبركة والاكتفاء.

أولاً: الخل كإدام في حالة العوز (السياق المقامي الحياتي).

ورد عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) دعاه إلى بيته، فقال جابر: «فأخرجوا طَبَقًا عليه فِلْقٌ من خُبزٍ، فأكل، فقال: أما من أُدُم؟ قالوا: لا، إلا شيء من خلّ. قال: الخلّ نِعْمَ الأُدُم» ثم قال جابر: «فما زلت أحب الخلَّ منذ سمعتها من رسول الله (ﷺ)»

يظهر من هذا السياق أن النبي (ﷺ) لم يكن في مقام بيان فضائل الأغذية أو المقارنة بينها، بل كان في سياق حياتي بسيط يعكس الزهد والتواضع والرضا بالموجود .فالبيت خالٍ من أصناف الطعام المعتادة، ولم يكن فيه إلا الخل، ورغم ذلك لم يُبدِ النبي (ﷺ) امتعاضًا، بل أثنى عليه، فكان ذلك درسًا تربويًا في القناعة والرضا.

وقد أكَّد هذا المعنى الأخلاقي ابن حجر العسقلاني، فقال: « إنَّهُ هلاكٌ بالرَّجُلِ أَنْ يَدخُلَ إليهِ النَّفَرُ منْ إخوانهِ فَيَحتَقِرُ ما في بيتهِ أنْ يُقَدِّمَهُ إليهمْ وهلاكٌ بالقومِ أنْ يَحتَقِرُوا ما قُدِّمَ إليهمْ »[1]، مشيرًا إلى أن مدح النبي (ﷺ) للخل لم يكن مجرد ثناء على طعام، بل توجيه عملي نحو الرضا عن القليل وعدم التكلف في الضيافة.

كما علَّق ابن الجوزي على هذا الحديث بقوله: نبَّه بذلك، على مَدْحُ الِاقْتِصَادِ فِي المَأكَلِ ومَنْعُ النَّفْسِ عَنْ مَلَاذِّ الْأَطْعِمَةِ[2]، يقول العظيم آبادي: كَأَنَّهُ يَقُولُ ائْتَدِمُوا بِالخَلِّ

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٠٠.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ١١٤.

ومَا كَانَ في معناهُ ممَّا تَخِفُّ مُؤنَتُهُ ولا يَعِزُّ وجُودُهُ ولا تَتَأَنَّقُوا في الشَّهَواتِ فَإِنَّهَا مُفسِدَةٌ لِلدِّينِ مُسْقِمَةٌ لِلْبَدَنِ [1].

ثانياً: الخل كرمز تربوي وخلقي (السياق الرمزي):

في رواية أم سعيد (رضي الله عنها) عن النبي (ﷺ) قال:«*نِعْمَ الإدام الخل، اللهم بارك في الخل، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي، ولم يفتقر بيت فيه خل*» هذا السياق يضيف بعدًا رمزيًا وتربويًا إلى الحديث؛ فالخل هنا ليس مجرد مادة غذائية، بل صار رمزًا لأسلوب حياة الأنبياء، القائم على البساطة والقناعة والزهد. ولذلك دعا له النبي (ﷺ) بالبركة، وأكّد على مكانته في حياة الأنبياء السابقين، لتربية الأمة على التخفف من الدنيا، والرضا باليسير.

وقد أشار الإمام النووي إلى أن مدح النبي (ﷺ) للخل كان مدحًا حقيقيًا، لا مجازيًا، فقال:« والصواب الذي ينبغي أن يجزم به أنه مدح للخل نفسه، وأما الاقتصار في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد آخر والله أعلم»[2]، وهذا ما يفيد بأن النبي (ﷺ) لم يمدحه مجازًا ولا تساهلًا، بل لأن له خصائص ذاتية نافعة، وليست دلالته محصورة في كونه رمزًا زاهدًا.

ثالثاً: الخل من منظور طبي وتجريبي (السياق الوظيفي العلمي):

تظهر الأحاديث أيضًا أن الخل كان معروفًا بصفاته الغذائية والعلاجية، مما يعزّز مدحه في السنة من جهة علمية. يقول ابن القيم الجوزية في الطب النبوي: «الخَلُّ: مركَّبٌ من الحرارةِ، والبرودَةُ أغلبُ عليه... يمنعُ من انصبابِ الموادِّ ويلطِّفُ الطبيعةَ، و ينفعُ المعدةَ الملتهبةَ، ويَقْمَعُ الصَّفراءَ، ويُعينُ على الهضمِ، ويضادُّ البلغمَ، ويُرِقُّ الدَّمَ، ويقوّى اللَّثَةَ، ويمنع العلق، ويُشهِّي الطعام، ويصلح للشباب في الصيف....»[3].

---

(١) عون المعبود للعظيم آبادي ٣١٥/١٠.

(٢) شرح النووي على مسلم ٧/١٤.

(٣) الطب النبوي صـ ٢٣٥، ٢٣٦، وزاد المعاد ٢٨٠/٤، ٢٨١.

وفي السياق نفسه، يقول الإمام السيوطي في كتابه (الرحمة في الطب والحكمة) الخل: يمسك الرياح، ويقوّي المعدة، ويمنع الصداع إذا شُرب مع الماء البارد [١].

ممَا يدلُّ على أنَّ النبي (ﷺ) لم يمدح الخل من باب الزهد أو الاكتفاء بالقليل فحسب، بل أيضًا لاعتبارات طبية واقعية عرفها الناس بالتجربة وأكدها لاحقًا علم الطب.

فالخل من حيث هو مادة غذائية، أثبتت الأبحاث الطبية فوائده في تقوية المعدة، ومعالجة التسمم الغذائي، وتطهير الأمعاء، وقد وصف في الطب الحديث بأنه: «مرطِّبٌ، ومنعش، ومدرٌ للعرق، والبول، ومنبِّهٌ للمعدة، ومحلل للألياف الخشنة من اللحم والخضراوات»[٢].

ويعد خل التفاح من أحسن أنواع الخل، وقد أثنى عليه الطبيب الشهير الدكتور/ (جارفيز *Jarves*) في كتابه القيم (طب الشعوب): وقد أوصى بشربه مع الماء صباحًا على الريق كل يوم، مضافًا إليه ملعقة صغيرة من العسل، باعتباره علاجًا فعالاً للبرد، ووسيلة لتطهير الجهاز الهضمي، والحصول على عناصر مغذية ومطهرة[٣].

وقد ثبت علميًّا أنَّ للخل تأثيرًا قاتلاً للجراثيم، ويُوصى بوضعه على الخضراوات الطازجة لتقليل خطر التسمم الغذائي، خاصة عند تناول الطعام في مطاعم لا تهتم بالنظافة، كما أن تناول ملعقتين صغيرتين من خل التفاح ممزوجتين بكوب من الماء بعد الوجبات يُسهم في تخفيف الوزن وتحسين الهضم[٤].

وأشار عبد اللطيف عاشور إلى أن للخل فاعلية واضحة في تخفيف آلام الحلق. ويُستخدم لهذا الغرض عبر غرغرة تتكوَّن من ملعقة صغيرة من الخل ممزوجة بكوب من

---

(١) ينظر: الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي صـ ١٢.

(٢) قاموس الغذاء والتداوي بالنبات صـ ٢٠٩.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٤٤.

الماء، تؤخذ جرعة منها كل ساعة، ويُفضل بلع كمية صغيرة لتصل إلى الأجزاء العميقة التي لا تصلها الغرغرة وحدها. وبعد تحسن الحالة، تُكتفى بغرغرة كل ساعتين(١).

ويذكر موفق الدين عبد اللطيف البغدادي أن الخل يدخل في إعداد شراب «السكنجبين» المعروف أيضًا باسم «شراب الخل» في العراق، ويُفيد هذا الشراب من يعانون من الحرارة المرتفعة (المحرورين)، كما يُستخدم في علاج الحميات العفنة. كما أشار كذلك إلى أن الإفطار بالخل يُقلل من إفراز المني، ويحتمل أن يُقلل من فرص الإنجاب (٢).

يتبيَّنُ من مجموع هذه الأحاديث والدراسات أن الخل ورد في ثلاثة سياقات متكاملة: سياق العوز والرضا، وسياق الرمزية التربوية، وسياق الصحة والفائدة. وكل سياق يضفي على الخل دلالة خاصة، تتكامل مع غيرها لتكوّن نظرة نبوية متكاملة تجاه هذه المادة، من حيث الفائدة الصحية، والرمزية التربوية، والوظيفة الأخلاقية.

***

(١) ينظر: التداوي بالأعشاب والنباتات صـ ٨٢.

(٢) ينظر: الطب من الكتاب والسنة ١٠١/١.

٦. السِّـــدرُ[١].

ذُكرت شجرة السدر في السنة النبوية الشريفة، مما يشير إلى أهميتها البيئية والصحية، ويعكس تعدد فوائدها العلاجية والغذائية التي أثبتتها الدراسات الحديثة.

ما روي عَنْ عَائِشَةَ (ﷺ): «أَنَّ امرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ، (ﷺ)، فَسَأَلَتْهُ عَن غُسلِ الحَيْضِ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وسِدْرٍ، وَتَأْخُذُ فِرْصَةً فَتَوَضَّأَ بِهَا وَتَطْهُرَ بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: (تَطَهَّرِي بِهَا). قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ فَاسْتَتَرَ النَّبِيُّ، (ﷺ)، بِيَدِهِ وقال: سُبْحَانَ اللَّهِ اطَّهَّرِي بِهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَذَبْتُ المَرْأَةَ وقُلْتُ: تَتَبَّعِينَ بِها أَثَرَ الدَّمِ»[٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا أَوْقَصَتْهُ رَاحِلَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، ولا تُخَمِّرُوا وَجْهَهُ وَلا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا»[٣].

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: مَاتَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ (ﷺ) فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «اغْسِلْنَهَا بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا، أَوْ سَبْعًا إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكِ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ شَيْئًا

---

(١) السِّدرُ شجر جبلي طويل العمر، يُستخدم طبيًّا في قتل الديدان، وتنقية الرأس، وتقليص الطحال، وعلاج الاستسقاء وقروح القولون. ثماره (النبق) تُهدئ العطش وتمنع الصداع. وقد ورد ذكره في القرآن، وورد في السنة في سياق غسل الميت.ينظر: إعجاز الطب النبوي، تأليف/ الدكتور السَّيد الجميلي صـ ٩٥، والأعشاب دواء لكل داء صـ ٢١١.

(٢) صحيح ابن حبان ٤٧٢/٣، كتاب: الطهارة، باب: الغسل، ذكر الاستحباب للمرأة الحائض استعمال السدر في اغتسالها وتعقيب الفرصة بعده.

(٣) سنن ابن ماجه ١٠٣٠/٢، كتاب: المناسك، باب: المحرم يموت.

مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي»، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَلْقَى إِلَينَا حَقْوَهُ وَقَالَ: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ، وَمَشَطْنَاهَا ثَلاثَةَ قُرُونٍ، وَأَلْقَيْنَاهَا مِنْ خَلْفِهَا»(١).

عن قَيْسِ بنِ عاصمٍ قالَ: «أَتَيْت النَّبِيَّ (ﷺ) أُرِيدُ الإِسْلامَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ»(٢).

عَنْ عبدِ اللهِ الخَثْعَمِيّ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ(٣)»(٤).

المعنى اللغوي:

السِّدْرُ: هو شَجَرُ النَّبِقِ، ويُعدُّ من شجر العِضَاهِ(٥)، أي الشجر الصلب، وواحدتُه: سِدْرَةٌ، وجمعُه: سِدْرَاتٌ، وسِدِرَاتٌ، وسِدَرَاتٌ، وسِدَرٌ، وسُدُورٌ(٦)، والأخيرةُ نادِرَةٌ الاستخدام(٧).

---

(١) سنن النسائي ٣٠/٤، كتاب: الجنائز، باب: غسل الميت وترًا، والسنن الكبرى للبيهقي ٩/٤، جماع أبواب عدد الكفن، باب: كفن المرأة.

(٢) سنن أبي داود ٩٨/١، كتاب: الطهارة، باب: في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل، وسنن الترمذي ٧٤٤/١، أبواب السفر ـ باب في الاغتسال عندما يسلم الرجل.

(٣) سئل أبو داود، عن معنى هذا الحديثِ، فقال: هذا الحديثُ مختصرٌ، يعني: «مَن قَطَع سدرةً في فلاةٍ يَستظِل بها ابنُ السبيلِ والبهائمُ، عَبَثاً وظلماً بغير حَق يكونُ له فيها، صوَّبَ اللهُ رأسَه في النار». سنن أبي داود ٥٢٥/٧، كتاب: الأدب، أبواب: السلام ـ باب: في قطع السدر.

(٤) السنن الكبرى للنسائي ٢١/٨، كتاب: السير ـ قطع السدر.

(٥) العِضَاهُ: كُلُّ شَجَرٍ له شَوكٌ، صغُرَ أو كَبُرَ، قال الأصمعيُّ: «العِضَاهُ وَاحِدَتُهَا عِضَةٌ، كُلُّ شَجَرٍ لَهُ شَوْكٌ يَعْظُمُ، وَمِنْ أَعْرَفِ ذَلِكَ الطَّلْحُ، وَالسَّلَمُ، وَالسَّيَالُ، وَالعُرْفُطُ، وَالسَّمُرُ، وَالشَّبَهَانُ، وَالكَنَهْبَلُ، وَالغَرْقَدُ، وَالسِّدْرُ، وَالعَوْسَجُ، وَاللَّصَفُ، وَهُوَ الْكَبَرُ اللَّيِّنُ». ينظر: غريب الحديث للحربي ٩٢٦/٣، والجمهرة ٩٠٥/٢ (ض ع ي)، ومعجم ديوان الأدب للفارابي ٤٧٠/١.

(٦) تهذيب اللغة ٢٤٧/١٢ (س د ر)، والصحاح ٦٨٠/٢ (س د ر).

(٧) المحكم ٤٥٥/٨ (س د ر)، وتاج العروس ٥٢٥/١١ (س د ر).

ويستعمل ورقه في التنظيف، قال الفيومي: «إذَا أُطْلِقَ السِّدْرُ في الغَسْلِ فالمُرَادُ الوَرَقُ المَطْحُونُ»[١].

وقد قال أبو حنيفة، نقلاً عن ابن زياد[٢]: «السِّدر من العِضاهِ، وهو نوعانِ: عُبْرِيٌّ، وضَالٌ. فأَمّا العُبْرِيّ فمَا لَا شَوْكَ فِيهِ إِلّا مَا لَا يَضِيرُ. وأَما الضّالُ فذُو شَوْكٍ. وللسِّدْرِ وَرَقَةٌ عَرِيضَةٌ مُدَوَّرةٌ، وَرُبمَا كَانَت السِّدْرةُ مِحْلَاًلا[٣]»[٤].

وفي سياق مشابه، ذكر القرطبي أن: «السِّدْرُ مِنَ الشَّجَرِ سِدْرَانِ: بَرِّيٌّ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ وَلَا يَصْلُحُ ورَقُهُ لِلغَسُولِ ولهُ ثَمَرٌ عَفِصٌ لَا يُؤْكَلُ، وهو الذِي يُسَمَّى الضَّالَ، والثَّانِي: سِدْرٌ يَنْبُتُ على الماءِ وثَمَرُهُ النَّبِقُ ووَرَقُهُ غَسُولٌ يُشْبِهُ شَجَرَ العُنَّابِ»[٥].

ويضيف الوقشي تصنيفًا ثالثًا، فيقول: «السَّدْرُ على ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ؛ ما كانَ فيه على المَاءِ قِيلَ لهُ: عُبْرِيٌّ وعُمْرِيٌّ. وما كانَ مِنْهُ بَرِّيًا قيلَ لهُ: ضَالٌ. وما تَوسَّطَ بَينَهُمَا قِيلَ لهُ: أَشْكَلُ، لأَنَّه لَمْ يَسْتَحِقَّ أَنْ يُسمَّى عُبْرِيًّا ولا ضَالًا وأَشْكَلَ أَمرُهُ»[٦].

وبذلك يتضح أن السدر يحمل دلالتين لغويتين: الأولى دلالة أصلية تشير إلى الشجرة، والثانية دلالة فرعية وظيفية تُشير إلى ورقها الذي يُستعمل لأغراض تنظيفية، وهي مستمدة من الأصل النباتي.

---

(١) المصباح المنير ٢٧١/١ (س د ر).

(٢) الإمام العلامة حجة العرب أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، صاحب تصانيف أدبية ولغوية، توفى سنة ٢١٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء١٨١/٨، والوافي بالوفيات للصفدي١٢٥/١٥.

(٣) المِحْلالُ: موضعًا يُحَلُّ فيه الناس في الصيف. لسان العرب ٤٨٠/٢ (س ر ح).

(٤) تاج العروس ٥٢٥/١١ (س د ر)، والمجموع المغيث ٧٢/٢.

(٥) تفسير القرطبي٢٨٧/١٤.

(٦) التعليق على الموطأ للوقشي ٢٤٧/١.

التحليل السياقي:

عند تتبَّع الأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر السِّدْر، يتبيَّن أن معناه لا يثبت على دلالة واحدة، بل يتغيَّر حسب السياق والمقام الذي ورد فيه، مما يعكس تنوّع الوظائف الشرعية والمعاني التعبدية المرتبطة بهذا النبات في الهدي النبوي، ففي سياق الطهارة كحديث عائشة (ڤ) في غسل الحائض، إذ قالت: «فأمرها أن تغتسل بماء وسِدر»، اتفق الشراح على أن المقصود بالسدر في الحديث هو الورق، قال ابن حجر: «يُجْعَلُ السِّدْرُ في ماءٍ ويُخَضْخَضُ إلى أَنْ تَخْرُجَ رَغْوَتُهُ ويُدْلَكُ بِهِ جَسَدُهُ ثُمَّ يُصَبُّ علَيه المَاء القراح فَهَذِهِ غسلة»[1]، وقال العيني: «يُطرح ورق السِّدر فِي المَاء ويحك به المَيِّت وَيصب عَلَيهِ المَاء فَتحصل طَهَارَته بِالمَاءِ، والحكمَة فِيهِ أَن الجِسْم يتصلب بِهِ وتنفر الهَوَام من رَائِحَته»[2]، وأشار ابن قدامه في المغني إلى أَنَّ السِّدْرَ إنَّمَا أُمِرَ بِهِ لِلتَّنْظِيفِ، وَالْمُعَدُّ لِلتَّنْظِيفِ إنَّمَا هُوَ الْمَطْحُونُ، وَلِهَذَا لَا يَسْتَعْمِلُهُ الْمُغْتَسِلُ بِهِ مِنْ الْأَحْيَاءِ إلَّا كَذَلِكَ... إنَّهُمْ يَأتُونَ بِسَبْعِ وَرَقَاتٍ مِنْ سِدْرٍ، فَيُلْقُونَهَا في المَاءِ فِي الغَسْلَةِ الأَخِيرَةِ[3].

ويتكرر هذا السياق التطهيري نفسه في حديث أم عطية (رضي الله عنها) حين توفيت إحدى بنات النبي (ﷺ)، فقال: «*اغسلنها بماء وسدر*»، مما يدلُّ على أن السدر كان مادة تطهيرية أساسية في غسل الأحياء والأموات على حد سواء، قال الحافظ الذهبي: الاغتسال بالسدر ينقي الرأس أكثر من غيره ويذهب الحرارة وقد ذكره رسول الله (ﷺ) في غسل الميت[4]. وقال داود الأنطاكي: «إنَّهُ يطردُ الهوامَّ، ويَشُدُّ العصَبَ، ويمنعُ المَيِّتَ

---

(١) فتح الباري ١٢٦/٣.

(٢) عمدة القاري ٤٠/٨.

(٣) المغني لابن قدامة ٣٤٣/٢.

(٤) الطب النبوي للذهبي صـ ١٢٩.

من البَلاءِ، ومن ثَمَّ تُغْسَلُ بـهِ الأَمواتُ»[١]، وقال الصنعانيُّ: «والحكمةُ فيه ـ أي غَسلُ المَيِّتِ بالسِّدرِ ـ أنهُ يُليِّنُ جسدَ المَيِّتِ»[٢]. وفي حديث قيس بن عاصم لما أسلم، أمره النبي (ﷺ) أن يغتسل بماء وسدر، وكان السياق تعبديًّا يتعلق بالدخول في الإسلام، فكان السدر رمزًا للتطهر الحسي والمعنوي، ومعناه مرتبط بالورق المنظِّف.

أمَّا في حديث عبد الله الخثعمي، عن النبي (ﷺ) قال: «*من قطع سدرة صوَّب الله رأسه في النار*»، فقد تغيَّر المعنى؛ والمقصود هنا الشجرة نفسها لا الورق، وقد قال الملا علي القاري إن المراد سدرة يستظل بها الناس في الفلاة، وقطعها يُعد اعتداءً على نفع عام[٣]، ووافقه الخطابي فقال: « إنما نُهى عن قطع سدر المدينة لئلا توحش وليبقى فيها شجرها فيستأنس بذلك ويستظل بها من هاجر إليها»[٤]، وأكد الرَّملِي أن هذا الوعيد خاص بما يُنتفع به من الشجر، وكان قطعه مؤذيًا[٥]. وهنا يتبين أثر السياق في توجيه المعنى من الوظيفية التطهيرية إلى الوظيفة البيئية والاجتماعية.

وفي الطب الحديث، تستخدم جميع أجزاء نبات السدر من ثمار وأوراق وبذور ولحاء كمطهر للجروح وعلاج للخراجات والدمامل، والأرق، والاضطرابات العصبية، وقد أشارت بعض الدراسات إلى أثره المهدئ على الجهاز العصبي.

وجاء في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: أن نواة النبق إذا نُقعت في عصارة الورد ثم زُرعت، أخرجت شجرًا له رائحة الورد، وإن نُقعت في عسل ولبن ثم جُففت

---

(١) التذكرة ١٨٦/١.

(٢) سبل السلام للصنعاني ٤٧٢/١.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ١٩٨٥/٥.

(٤) معالم السنن للخطابي ٢٢٣/٢، وينظر: شرح المصابيح لابن الملك ٤٧٨/٣.

(٥) شرح سنن أبي داود ١٨١/١٩.

وزرعت، طابت ثمارها وحَلَت، ويُذكر أن اليابس من ثمرها يمنع النزيف والإسهال إذا قُلي ودُق مع نواه(١).

وقال ميلر: «إن الثمرة بالكامل تؤكل بما في ذلك النوى، وإن الأهالي في عمان يسحقون كمية من هذه الثمار ليحصلوا على نوع من الجريش، يؤكل إمَّا نيئًا وإما بعد طبخه بالماء أو الحليب، والثمار تؤكل ليس كغذاء فقط، ولكن لخصائصها الطبية، إذ إنَّها تنظف المعدة وتنقي الدم، وتعيد الحيوية والنشاط إلى الجسم»(٢).

وأشارت دراسة نُشرت عام (٢٠١٦م) في مجلة: *Journal of Advances in Medicine and Medical Research* ، إلى أنَّ أوراق السِّدرِ لها خصائصَ مضادَّةً للأكسدةِ، ممَّا يُسهم في تقليل عمليات الأكسدةِ(٣).

كما أثبتت دراسة أخرى أجريت على الفئران أن أوراق السدر تقليل الديدان في الجسم، عبر خفض إنتاج بويضاتها ومنع تكاثرها(٤).

يتبيَّنُ من خلال ما سبق أن كلمة (السدر) في الأحاديث النبوية لا تحمل دلالة واحدة ثابتة، بل تتعدد معانيها بين الدلالة النباتية التي تشير إلى الشجرة، والدلالة الوظيفية التي تشير إلى الورق المستخدم في الغسل، والدلالة التعبدية المرتبطة بالطهارة والاستعداد للعبادة أو الموت، إضافة إلى دلالة بيئية متعلقة بالشجرة ذات النفع العام، ويُسهم السياق في توجيه الذهن إلى المعنى المقصود بدقة وانسجام تام بين اللغة والفقه والمقصد.

***

(١) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام زكريا القزويني صـ ٢٢٣.

(٢) موسوعة جابر لطب الأعشاب ١٤٤/١.

(٣) كشف الستر عما جاء في شجر السدر صـ ٣٧١.

(٤) السابق نفسه.

٧. السَّفَرجلُ [١].

يُعدُّ السفرجل من الثمار التي ورد ذكرها في السنة النبوية في أكثر من موضع، وقد نسب إليه النبي (ﷺ) صفات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالصحة الجسدية والنفسية، مما يجعله موضع اهتمام بين المفسرين والأطباء على حد سواء. وقد أشار الطب الحديث إلى فوائد هذه الثمرة بما يثبت دقة التوصيف النبوي لها، ومن أبرز ما ورد عن السفرجل:

حديث طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه)، حيث قالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) وهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِي يَدِهِ سَفَرْجَلَةٌ يُقَلِّبُهَا، فَلَمَّا جَلَسْتُ إِلَيْهِ دَحَى بِهَا نَحْوِي، ثُمَّ قَالَ: «دُونَكَهَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهَا تَشُدُّ الْقَلْبَ، وَتُطَيِّبُ النَّفْسَ، وَتَذْهَبُ بِطَخَاوَةِ الصَّدْرِ»[٢].

وفي رواية أخرى عنه (رضي الله عنه) قال :دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَفِي يَدِهِ سَفَرْجَلَةٌ فَرَمَاهَا إِلَيَّ أَو، قَالَ: أَلقَاهَا إِلَيَّ، وَقَالَ: «دُونَكَهَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهَا تُجِمُّ الفُؤَادَ»[٣].

المعنى اللغـــوي:

السَّفَرْجَلُ: هو اسم لثمرة معروفة، واحدته «سَفَرْجَلَةُ»، والجمعُ (سَفَارِج)، قال أبو حنيفة: «وهو كثيرٌ في بلادِ العرَبِ» وورد عن سيبويه قوله: «ليس في الكلام مثل سِفِرجال»، أي أن هذا البناء (فِعِرْجال) غير مألوف في اللغة العربية. كما قال: «ليس في

---

(١) السَّفرجلُ شجيرة متوسطة الارتفاع تنمو خاصة في دول حوض المتوسط، تزهر في مايو ويونيو. تُستخدم ثمرته طبيًّا لمعالجة عسر الهضم، الإسهال، النزيف، أوجاع الحلق، القيء، ضعف الشهية، وتنشيط الكبد. ينظر: معجم الأعشاب الطبية في الوطن العربي صـ ٢٥٥.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١١٧/١..

(٣) الحديث رواه الحاكم وصححه ٤١٨/٣، وذكره أيضًا ابن ماجة في سننه ١١١٨/٢، كتاب: الأطعمة، باب: أكل الثمار.

الكلام مثل اسْفَرْجَلْت»، أي أن هذا الفعل (اسفرجلت) ليس موجودًا أيضًا.وتصغير «السَّفَرْجَلة» يكون «سُفَيْرِجٌ» أو «سُفَيْجِلٌ»(١).

التحليل السياقي:

عند النظر في هذه النصوص، يتضح أن النبي (ﷺ) لم يذكر السفرجل في معرض التنعم أو الطعام المجرد، بل بوصفه ثمرة ذات أثر نفسي وفسيولوجي، مما يعكس وعياً نبوياً بطبيعة الغذاء وآثاره على النفس والجسد. فلفظة «تُجِمُّ الفؤاد» تعني تقويته وإنعاشه(٢)، وتدل في السياق اللغوي على البهجة والارتياح القلبي. وقد أشار ابن منظور إلى أن «جمَّ الفؤاد» معناه ملؤه بالسرور والراحة، وَقِيلَ: تَجْمَعهُ وتُكَمِّلُ صَلاحَه ونَشاطَه(٣). أما قوله «تشد القلب»، فيحمل معنى التعزيز والدعم، في مقابل الخمول والضعف. و«تطيب النفس» تدل على تحسن المزاج وذهاب الكدر، بينما «طخاوة الصدر» تعني الضيق والرطوبة أو البلادة التي تصيب الصدر، وقد فسرها أهل اللغة بأنها نوع من الوخم أو البلل الخفي المؤثر في الحالة النفسية والجسدية(٤). وقال موفق الدين البغدادي: «وشراب السفرجل الخام ودهنه يمسك العَرَقَ ويقوّي المعدة، ويشُدُّ القلب ويطيب النفس»(٥).

قال ابن القيم في (الطب النبوي) إن السفرجل يقوي المعدة، والمربى منه يقوي المعدة والكبد، ويشد القلب، ويطيب النفس(٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب ٣٣٨/١١.

(٢) ينظر: شرح السنة للبغوي ٣٠١/١١.

(٣) لسان العرب ١٠٦/١٢ (ج م م).

(٤) ينظر: تاج العروس ٤٨٦/٣٨ (ط خ ى).

(٥) الطب من الكتاب والسنة صـ ١١٧.

(٦) الطب النبوي صـ ٢٤١.

وفي الطب القديم عرف الرومان والإغريق والفراعنة السفرجل، وذكره أطباء العرب واستخدموه في علاجاتهم، ووصفوه بأنه: مفرح للقلب، مذهب للوسواس، وضعف الكبد، واليرقان، وغيرها من الأمراض(١).

وفي الطب الشعبي الحديث فقد ثبت أن السفرجل غني بفيتامينات (أ)، (ب)، كما أنه غني بعناصر: الكبريت، والفسفور، والكالسيوم، وهو يفيد كثيرًا في التسكين، والتغذية، وفتح الشهية، وعلاج المعدة والكبد، ويستعمل لعلاج الإسهال الحاد، والربو والسعال الديكي، وعسر الهضم والتهاب الأمعاء(٢).

كما أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن السفرجل يستخدم لعلاج فروة الرأس(٣).

وبذلك يظهر أن الحديث النبوي عن السفرجل ليس مجرد إشادة بفاكهة محببة، بل هو توصيف دقيق يربط بين الصفات النفسية والجسدية للمادة الغذائية وبين آثارها المباشرة على الإنسان. وقد أثبت الطب الحديث هذه الفوائد على مستوى القلب، والمزاج، والجهاز التنفسي والهضمي، مما يُبرهن على الإعجاز النبوي في توصيف الأطعمة وفقًا لوظائفها الحيوية. ومن هنا، يمكننا القول إن المرويات النبوية المتعلقة بالسفرجل تشكّل وحدة دلالية متكاملة، ترتبط بالسياق البيئي والزمني للحديث، وتنسجم تمامًا مع المعايير العلمية المعاصرة، مما يستوجب مزيدًا من البحث الأكاديمي في علوم الطب النبوي وربطه بالبيولوجيا الحديثة، لإبراز هذه الجوانب التي تجمع بين الوحي والعلم.

***

(١) التداوي بالأعشاب صـ ١١٧.

(٢) السابق صـ ١٠٣.

(٣) موسوعة جابر لطب الأعشاب صـ ٢٦٦.

٨. السَّنَا/ السَّنَامكي ـ السَّنُّوت[١].

ورد في السنة النبوية الشريفة عدد من الأحاديث التي تُبرز القيمة العلاجية للسَّنَا والسَّنُّوت، باعتبارهما من العناصر الطبيعية النافعة في التداوي، ومن ذلك:

ما رواه الصحابي الجليل أبو أُبَيّ بْنَ أُمِّ حَرَامٍ (ﷺ) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّنَى، وَالسَّنُّوتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ»[٢].

كما روت أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ (رضي الله عنها): « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) سَأَلَهَا: (بِمَ تَسْتَمْشِينَ؟[٣])، قَالَتْ: بِالشُّبْرُمِ[٤] قَالَ: (حَارٌّ جَارٌّ) ، قَالَتْ: ثُمَّ اسْتَمْشَيْتُ بِالسَّنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (لَوْ أَنَّ شَيْئًا كَانَ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ المَوْتِ لَكَانَ فِي السَّنَا)»[١].

---

(١) السَّنَا أو السَّنَامكي نبات عشبي من الفصيلة البقولية، يصل طوله إلى متر، بأوراق مركبة وأزهار صفراء، ينتشر في الجزيرة العربية وشمال إفريقيا. يحتوي على مركبات مسهّلة مثل الأنثراكينونات، ويُستخدم كمليّن ومسهل في شكل مغلي أو منقوع، ويدخل في علاجات الإمساك الصيدلانية.ينظر: النباتات الطبية واستخداماتها العلاجية صـ ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) سنن ابن ماجه ١١٤٤/٢، كتاب: الطب، باب: السنا والسنوت، ومسند الشاميين للطبراني ٣١/١.

(٣) أي بمَ تُسْهِلِينَ بَطْنَكِ؟ قَالَ: وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ أَراد المَشْيِ الَّذِي يَعْرِض عِنْدَ شُرْب الدَّوَاءِ إلى المَخْرج... وَهُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي يُسهل مِثْلَ الحَسُوِّ والحَساء؛ قَالَهُ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَذَكَرَ المَشِيَّ أَيضاً، وَهُوَ صَحِيحٌ، وسُمي بِذَلِكَ لأَنه يَحْمِلُ شَارِبَهُ عَلَى المَشْيِ والتَّرَدُّد إلى الخَلَاءِ، ولَا تَقُلْ شَرِبْتُ دَوَاءَ المَشْيِ. ويُقَالُ: اسْتَمْشَيْتُ وأَمْشَانِي الدَّواء. لسان العرب ٢٨٣/١٥ (م ش ي).

(٤) الشُّبْرُم: ضرب من النَّبات مَعْرُوف، الشُّبْرُمُ: حبٌّ يُشبه الحِمَّص، والشُّبْرُم: النَّخيل، وَإِن كَانَ طَويلا. وَقَالَ أَبُو زَيْد: من الْعِضَاه، والشُّبْرُم الواحِدَة شُبْرُمَة، وقيل: الشُّبْرمُ من نبات السَّهْلِ له وَرَقٌ طُوالٌ كوَرقِ الحَرْمَلِ وله ثمرٌ مثل الحِمَّصَ واحدتُه شُبْرَمَة وقال أبو حنيفَة شُجَيْرةٌ حارّةٌ مُحرِقةٌ تسمُو على ساقٍ كقِعدَةِ الصَّبيِّ أو أعظَم لها وَرَقٌ طُوَالٌ رُقَاقٌ وهي شديدةُ الخُضرةِ ، ينظر: تهذيب اللغة ←←←

وجاء في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (ﷺ)، أن رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قال: («ثَلاثٌ فِيهِنَّ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ السَّنَا وَالسَّنُّوتُ» قَالَ مُحَمَّدٌ: وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا السَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا السَّنُّوتُ؟ قَالَ: «لَوْ شَاءَ اللهَ لَعَرَّفَكُمُوهُ»)[٢].

المعنى اللغـــــوي:

السَّنا: هو نباتٌ معروف منذ القدم، يُعرف باسم (السَّنامكي) نسبة إلى مكة المكرمة، وقد استُعمل في التداوي[٣]، وورد ذكره في كتب اللغة والطب العربي. قال ابن سيده: «السَّنَا شُجَيرة من الأَغْلاث تُخْلَطُ بالحِنَّاء فتكون شِبَاباً له تُسَوِّدُه ...»[٤]، وذكر ابن فارس: «أنَّه نَبْتٌ مُسْهِلٌ للصَّفراءِ والسَّوداءِ والبَلْغَمِ»[٥]. مما يشير إلى فعاليته التطهيرية في الجهاز الهضمي.

وفي المعجم الوسيط فقد عُرِّف بأنه: « نبات شجيري من الفصيلة القرنية، زهره مصفر، وحبه مفلطح رَقِيق، كلوي الشكل تَقْرِيبًا، يتداوى بورقه وثمره، وأجوده الحِجَازِي، ويُعرف بالسَّنا المَكِّيّ»[٦].

أما السَّنُّوت، فقد تعددت الأقوال في تحديد معناه، ولم يُجمع على تعريف نباتي أو دوائي دقيق له. فقد قيل: إنَّهُ الشَّبَتُّ، وهو نبات عطري معروف، وقَالَ آخَرُونَ: إنَّهُ العَسَلُ

→→→

٣١٠/١١ (ش ر ب م)، والصحاح ١٩٥٨/٥ (ش ب ر م)، والمحكم ١٤٤/٨(ش ر ب م)، وشمس العلوم ٣٣٦٣/٦.

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٣٣/٥، كتاب: الطب، باب: في شرب الدواء الذي يمشي، ومسند الإمام أحمد ١٣/٤٥، وسنن الترمذي ٤٧٧/٣، أبواب: الطب، باب: ما جاء في السنا، وقال هذا حديث غريب.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٨٦/٧، كتاب: الطب، باب: الدواء بالسنا والسنوت.

(٣) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٤٧.

(٤) المحكم ٥٨٠/٨ (س ي ن).

(٥) الجاسوس على القاموس لابن فارس صـ ٣٥٨.

(٦) المعجم الوسيط صـ ٤٥٧.

الَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السَّمْنِ[1]، وَقِيلَ: الرُّبَّ (دبس التمر أو العنب)، وقيل: الكَمَّون، أو نَباتٌ يُشْبِه الكَمُّونَ؛ وَقِيلَ: الرَّازِيانِجُ[2].ووردت الرواية فيه بفتح السين وضمها وكسرها، إلا أن الفَتْح أَفْصَح[3].

ويُفهم من هذا التعدد أن المقصود بالسَّنُّوت ليس نباتًا بعينه، بل ما له وظيفة هضمية وتلطيفية تُعين على التداوي، كما عبَّر عنه ابن القيم بقوله: السَّنُّوت يُطلق على كل ما يُستطبخ به الطعام مما يُعين على الهضم، ويُصلح الأخلاط، ويرد المعدة[4].

التحليل السياقي:

في الحديث المروي عن أبي أُبَيِّ بْنَ أُمِّ حَرَامٍ، ورد التوجيه النبوي باستعمال السَّنا والسَّنُّوت بصيغة الأمر التي تُحمل ـ في هذا السياق ـ على الإرشاد والتوجيه إلى ما فيه نفع، لا على الإلزام، وقد اعتنى علماء الطب الإسلامي ببيان منافع هذه النبتة، ومنهم ابن القيم الذي وصف السَّنَا بأنه: «نبت حجازي أفضله المكي، وهو دواء شريف مأمون العاقبة، قريب من الاعتدال، حار يابس في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب»[5]، وذكر ابن البيطار كذلك خواصه الطبية فقال: «إنه يُخلط بالحناء فيسوّد، وكان يُستعمل مسهلاً في حالات النقرس وعرق النسا ووجع المفاصل... وتُقَدَّر شربته من مطبوخه بما يصل إلى سبعة دراهم»[6]. وتُظهر هذه الأقوال أن المقصود من

---

(١) ينظر: معجم ديوان الأدب ٣٣٢/١، وتهذيب اللغة ٢٦٧/١٢(س ت ن)، ومقاييس اللغة ١٠٤/٣ (س ن ت).

(٢) لسان العرب ٤٧/٢ (س ن ت).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤٠٧/٢.

(٤) زاد المعاد ٦٩/٤.

(٥) ينظر: الطب النبوي صـ ٥٧.

(٦) التداوي بالأعشاب والنباتات صـ ١٠٦.

التوجيه النبوي هو اعتماد التداوي الطبيعي، القائم على التجربة العملية والمعرفة المتراكمة بفوائد الأعشاب.

وفي قوله (ﷺ): «فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام» نجد صيغة عامة يُراد بها غالبية النفع لا الإطلاق الكلي، بدليل الاستثناء بـ «إلا السَّام»، أي الموت[1]، وهذا أسلوب بلاغي يُراد به تعظيم الفائدة لا نفي القدر.

وفي حديث أسماء بنت عميس (رضي الله عنها)، فإن النبي (ﷺ) لما سألها: «بِمَ تَسْتَمْشِينَ؟»،

فقالت: «بالشبرم»، قال: «حارٌّ جارٌّ»، أي أنه شديد التأثير في الجسد، ثم لما ذكرت أنها استعملت السَّنَا، قال النبي (ﷺ): «لو أن شيئًا فيه شفاء من الموت لكان في السَّنَا». فالسياق هنا سياق حواري قائم على المقارنة بين نوعين من المسهلات: الشبرم، وهو قوي ومؤذٍ؛ والسَّنَا، وهو أكثر لطفًا وأقل ضررًا، وقد أثبت له النبي (ﷺ) ميزة خاصة وهي قربه من أن يكون فيه شفاء مطلق. وهذا النوع من الأساليب النبوية قائم على التفضيل بين البدائل الطبية، وقد أشار الذهبي إلى ذلك في كتابه الطب النبوي بقوله: السَّنا: دواء شريف مأمون الغائلة، يقوي القلب، ويسهل بلا عنف، ولذلك أدخله الأطباء في كل الأدوية لشرفه وكثرة منافعه... وفي قول النبي (ﷺ): «لو أن شيئًا فيه شفاء من الموت لكان في السَّنَا» فيه سر لطيف ومعنى جليل، وبرهان بيِّن، على أنه (ﷺ) مطلع على كثير من المعلومات، فإن الشبرم دواء منكر، قوي الإسهال، حار، يابس، ترك الأطباء استعماله لخطره وشدة إسهاله(٢). والسياق إذًا يبرز فائدة السَّنَا كبديل طبيعي لطيف، مقارنةً بما هو حارٌ جارٌّ من الأدوية القاسية.

وفي حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه): «ثلاث فيهن شفاء من كل داء إلا السام: السَّنَا والسَّنُّوت...» ثم تساءل الصحابة: «هذا السَّنَا قد عرفناه، فما السَّنُّوت؟» فقال: «لو شاء

---

(١) ينظر: منحة الباري شرح صحيح البخاري للسنيكي ١٢/٩.

(٢) الطب النبوي للذهبي ١٢/٩.

الله لعرَّفكموه»، والسياق هنا استفهامي تأويلي، يدل على أن السَّنُّوت ليس اسمًا لمادة واحدة، بل يحمل تعددية دلالية بحسب البيئات والعادات. وقال ابن القيم: «السَّنُّوت يُطلق على ما يُخلط مع الطعام من مواد تُصلح الهضم وتُلطّف المعدة وتُصلح الأخلاط»(١)، مما يبيّن أن المقصود وظيفة علاجية لا مادة معينة.

وحين ننظر إلى الجمع بين السَّنَا والسَّنُّوت في الحديث، يتبيَّن لنا حكمة التوجيه النبوي، حيث يشكّل هذا المزج بين مُسهِّل قوي (السَّنَا) ومهضِّم لطيف (السَّنُّوت) تركيبة علاجية متوازنة، تُسهم في تنظيف البدن دون إضرار بالمعدة أو الأمعاء، وتجمع بين القوة واللُّطف، وتُحقق الشفاء بإذن الله. فالسَّنَا يُخرج الفضلات والأخلاط الضارة(٢)، والسَّنُّوت يُهدِّئ وينظِّم الهضم، فتكتمل بذلك الفائدة الطبية ويُدفع الضرر(٣).

وفي ضوء ما سبق، يظهر أن الأحاديث النبوية في ذكر السَّنَا والسَّنُّوت ليست مجرد وصفات ظرفية، بل إشارات إلى عناصر طبيعية فعالة في العلاج، وقد أكَّد على نفعها علماء الطب الإسلامي، ووافقت التجربة المعاصرة مقاصدها، مما يُبرز دقة الهدي النبوي في الجمع بين الوقاية والعلاج، وبين الطبيعة والتجربة، في إطار من التوازن والرحمة.

***

(١) زاد المعاد ٦٩/٤.

(٢) السابق نفسه.

(٣) ينظر: إعجاز الطب النبوي صـ ٧٢.

٩. السِّواكُ ـ الخَمطُ[١] ـ الأرَاكُ[٢].

إنَّ السواكَ من السُّنَنِ التي شغلت حيّزًا كبيرًا في هدي النبي (ﷺ)، وتكررت الأحاديث في شأنه حتى خُيِّل لبعض الصحابة أن الأمر به سيفرض. وقد جاء هذا الاهتمام ليس لمجرد كونه أداة نظافة، بل لأنه يتقاطع مع مقاصد عليا في الشريعة، تجمع بين الطهارة الظاهرة والتزكية الباطنة، وتُعدُّ من سنن الفطرة التي فُطر الناس عليها، ومن الأحاديث الواردة في السواك:

ما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قالَ رَسُول الله (ﷺ): «لولا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لأمَرتُهُم بِالسِّواكِ عند كُلِّ صلاة ـ وفي رواية ـ عندَ كُلِّ وضُوءٍ»[٣].

وعن حذيفة (رضي الله عنه)؛ قال: «كانَ رَسُول الله (ﷺ) إذا قامَ من اللَّيلِ يتهجَّدُ يَشُوصُ[٤] فاهُ بالسِّواكِ»[٥].

---

(١) الخمط: قال أبو عبيد: الخمط شجرة لها شوكة. وقال غيره: الخمط شجرة الأراك، وقد ذكر الأراك. ذكر الله الخمط. الطب من الكتاب والسنة ١٠١/١.

(٢) الأراك: هي أعوادُ السواك، قال ابو حنيفة: هو أفضل ما استِيكَ به لأنه يفصح الكلام، ويطلق اللسان، ويطيب النكهة ويشهي الطعام، ويُنَقِّي الدماغ، وأجودُ ما استُعْمِلَ بماءِ الوَرِدِ. ينظر: المحكم ٨٢/٧ (ك ر أ)، ولسان العرب ٣٨٨/١٠ (أ ر ك)، وتاج العروس ٣٦/٢٧ (أ ر ك.)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٥٥/١، كتاب: الطهارات، باب: ما ذكر في السواك.

(٤) يَشُوصُ: الشَّوْصُ: الغَسْلُ والتَّنْظِيفُ. شاصَ الشيءَ شَوْصاً: غَسَلَه. وشاصَ فَاهُ بالسِّواكِ يَشُوصُه شَوْصاً: غَسَلَه، وَقِيلَ: أَمَرَّه عَلَى أَسْنانهِ عَرْضاً، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَفْتَح فَاهُ ويُمِرَّه عَلَى أَسْنانِه مِنْ سُفْلٍ إلى عُلْوٍ. لسان العرب ٥٠/٧ (ش و ص).

(٥) صحيح البخاري ٥٨/١، كتاب: الوضوء، باب: السواك، وصحيح مسلم ٢٢٠/١، كتاب: الطهارة، باب: السواك، وسنن ابن ماجه ١٠٥/١، كتاب: الطهارة وسننها، باب: السواك.

وعن ابن عباس (ﷺ)، قال: «كانَ رسول الله (ﷺ) يُصَلي باللَّيلِ ركعتينِ ركعَتينِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَسْتَاكُ»(١).

وعن سَمُرَةَ (ﷺ) أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قال: «طَيِّبُوا أَفْوَاهَكُمْ بِالسِّوَاكِ، فَإِنَّهَا طُرُقُ القُرْآنِ»(٢).

وعن شريح بن هانئ عن أبيه، عن عائشة (ﷺ)، قال، قلت: «أخبريني. بأي شيء كان النبي (ﷺ) يَبدأُ إذا دَخَلَ عليكِ؟ قالت: كَانَ إِذَا دَخَلَ يَبْدَأُ بِالسِّوَاكِ»(٣).

وعن أبي بُردَةَ عن أبيه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) فَوَجَدْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكٍ بِيَدِهِ ويَقُولُ: أُعْ أُعْ(٤)، وَالسِّوَاكُ فِي فِيهِ، كَأَنَّهُ يَتَهَوَّعُ(٥)»(٦).

وعن أبي أُمامَةَ؛ أن رسول الله (ﷺ) قال: «تَسَوَّكُوا؛ فإنَّ السِّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ، ما جَاءَنِي جِبرِيلُ إلَّا أَوصَانِي بِالسِّوَاكِ، حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عليَّ وعَلَى أُمَّتِي، وَلَولَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَفَرَضْتُهُ لَهُمْ، وإنِّي لَأَسْتَاكُ حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أُحْفِيَ مَقَادِمَ فَمِي(٧)»(١).

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٧٢/٣، وسنن ابن ماجه ١٠٦/١، كتاب: الطهارة وسننها، باب: السواك.

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ١٣١/١٧، ٢٤٣/٢٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٥٥/١، كتاب: الطهارات، باب: ما ذكر في السواك، وسنن ابن ماجه ١٠٦/١، كتاب: الطهارة وسننها، باب: السواك.

(٤) هو حكاية صوته (ﷺ) إذا جعل السواك على طرف لسانه، والمراد طرفه الداخل. ينظر فتح الباري ١/ ٣٥٦، وحاشية السيوطي والسندي على النسائي ١/ ١٦.

(٥) يتهوَّعُ: يتقيأ، أي: له صوت كصوت المتقيء. فتح الباري ١/ ٣٥٦.

(٦) صحيح البخاري ٥٨/١، كتاب: الوضوء، باب: السواك.

(٧) قوله: «أن أُحفي» ـ بضم الهمزة ـ من الإحفاء؛ وهو: الاستئصال، و(مقادم الفم) هي الأسنان المتقدمة؛ أي: خشيت أن أُذهبها من أصلها بكثرة السواك؛ بسبب إكثار جبريل في الوصية، قيل: المراد بالمقادم: اللَّثات، جمع لثة بكسر اللام وتخفيفها: ما حول الأسنان من اللحم، وهذا المعنى

←←←

وعَنْ عائِشَةَ (ﷺ) قالتْ: قالَ رَسُول الله (ﷺ): «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»[٢].

وعنها ـ أيضًا ـ أنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): «عَشْرٌ مِنَ الفِطرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإعفَاءُ اللِّحيَةِ، والسِّوَاكُ، وَالاسْتِنْشَاقُ بِالمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ[٣]، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتقَاصُ المَاءِ " قَالَ مُصْعَبٌ: «وَنَسِيتُ العَاشِرَةَ، إلا أَنْ تَكونَ المَضْمَضَةَ»[٤].

المعنى اللغوي:

قال أهلُ اللغةِ: إنَّ السِّواكَ بكسرِ السِّينِ يُطلقُ على الفعلِ نفسه، كما يطلق على العُودِ الَّذي يُتَسَوَّكُ به، ويقالُ: «ساكَ فَمَهُ يَسُوكُهُ سَوكًا» بمعنى دلكه ونظَّفه، وجَمعُ السِّواكِ: «سُوُكٌ» بضم السين والواو، كقولهم: كُتُبٍ في جمع كتاب [٥].

أما من حيث النوع اللغوي، فقد اختلف أهل اللغة في تذكير السواك وتأنيثه، حيث ذكر الأزهري أنه مُذكَّر، وقال: «وغلط الليث بن المظفر حين قال: إنه مؤنث»[١]، ووافقه ابنُ

→→→

الأخير أقرب. مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه ٩٦/٣، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه ١٢٤/١.

(١) سنن ابن ماجه ١٠٦/١، كتاب: الطهارة وسننها، باب: السواك.

(٢) صحيح البخاري ٣١/٣، كتاب: الصوم، باب: سواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) قال ابن منظور: « البُرْجُمَة، بِالضَّمِّ، وَاحِدَةُ البَراجِمِ وهِيَ مَفاصِل الأَصابع التِي بَيْنَ الأَشاجِع والرَّواجِب، وهي رؤوس السُّلامَيات مَنْ ظَهْر الكَفِّ إذا قَبَض القَابِضُ كفَّه نَشَزَت وَارْتَفَعَتْ. ابْنُ سِيدَهْ: البُرْجُمةُ المَفْصِل الظَّاهِرُ مِنَ المَفَاصِل، وَقِيلَ: الباطِن، وَقِيلَ: البَراجِمُ مَفاصِل الأَصابع كُلِّهَا، وَقِيلَ: هِيَ ظُهور القَصَب مِنَ الأَصابع. والبُرْجُمةُ: الإِصْبَعُ الوُسْطى مِنْ كُلِّ طَائِرٍ». لسان العرب ٤٦/١٢ (ب ر ج م).

(٤) صحيح مسلم ٢٢٣/١، كتاب: الطهارة، باب: خصال الفطرة، وسنن ابن ماجه ١٠٧/١، كتاب: الطهارة وسننها، باب: الفطرة

(٥) العين ٣٩٢/٥ (ك س و)، وشرح النووي على مسلم ١٤٢/٣.

دُرَيْد، وأضاف أن العربَ تُؤنثُ وتُذَكِّر (المِسواكُ)، لكن التَّذْكِيرُ أرجح وأَعْلَى[٢]، أما الزَّبيدي فذكر أن المسواك يُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ وصرَّح بأنَّ التَّأنِيثَ أَكْثَرُ شيوعًا[٣]، وهو ما ذهب إليه صاحب (المحكم) حيث قال: «يؤنث ويذكَّر لغتان»[٤].

ومن جهة الاشتقاق، فإن السِّواكَ مُشتقٌ من (التَّساوُكِ)، وهو التَّمايُلُ والتَّردُّدُ؛ لأنَّ المُتَسوِّكَ يُردِّدُ العُودَ في فَمِهِ ويُحَرِّكُهُ، يقال: «جاءتِ الإبلُ تَسَاوَكُ» إذا كانت أعناقُها تضطَرِبُ منَ الهُزالِ[٥]، وذلك لتشابه الحركة التي يحدثها العود في فَمِ المُتسوك، إذ يُحركه ويُردده داخل الفم، ومنه قولهم: (التساوك: الاضطراب)[٦].

أما المِسواكُ: فهو اسمٌ خاص بالعودِ الذي يُتَسَوَّكُ به[٧].

وهو في اصطلاح الفقهاء: «اسْتِعْمَال عود من أَرَاك أَو نَحوه فِي الأَسْنَان ومَا حولهَا لإذهاب التَّغَيُّر وَنَحْوه»[٨].

التحليل السياقي:

يبتدئ النبي (ﷺ) حديثه المشهور بقوله: «*لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة*»، وهو تعبير يحمل دلالة شرعية قوية؛ إذ يفهم منه أن الأصل هو الأمر، لكن الذي يمنعه هو خشية المشقة على الأمة. ومن هنا يتضح أن السواك ليس مجرد سُنة عابرة، بل عبادة مؤكدة كادت تقترب من مرتبة الوجوب لولا عذر التخفيف. وقد علَّق

→→→

(١) تهذيب اللغة ١٧٣/١٠ (ك س و).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة ٨٥٧/٢ (س ك و).

(٣) تاج العروس ٢١٦/٢٧ (س و ك).

(٤) المطلع على ألفاظ المقنع للبعلي ٢٧/١.

(٥) كشاف القناع عن متن الإقناع لـ الشيخ منصور البهوتي ٨٩/١.

(٦) ينظر: الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن المبرد٦٦/٢.

(٧) المطلع على ألفاظ المقنع ٢٧/١.

(٨) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني ٣٤/١، والسواك للدكتور/ محمد علي البار صـ ١٣.

الإمام النووي على هذا المعنى قائلاً:«فيه دليل على استحباب السواك واستمرار النبي (ﷺ) على استعماله، لكنه لم يوجبه على الأمة تخفيفًا عنهم»(١).

ويبُرز السياق اللغوي لهذا الحديث ـ لا سيما في استعمال (لولا) ـ هذا المعنى بقوة فالبيضاوي يُفسرها بقوله: «لولا: تدل على انتفاء الشيء لثبوت غيره...»(٢)، أي أن الأمر بالسواك لم ينتفِ لضعف في الحثِّ، بل لثبوت مانع، هو المشقة. وهذا التحليل يُضيء البُعد الأصولي في المسألة: فالسياق يدل على ترغيبٍ بالغ بلغ حدّ الخشية من أن يُفرض، مما يكشف عن مكانة السواك في الشريعة.

ويتأكد هذا المعنى بأحاديث أخرى، مثل قول النبي (ﷺ): «ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك، حتَّى خشِيتُ أن يُفرضَ عليَّ وعلى أُمتي»، وفيه إشارة واضحة إلى أن السواك كان محل عنايةٍ دائمة من الملائكة، مما يُرجِّح أن الأمر به لا يتعلَّقُ فقط بالنظافة الظاهرة، بل أيضًا بنظافة معنوية وروحية، يظهر أثرها عند الوقوف بين يدي الله، أو تلاوة كلامه، وهو ما بيَّنه ابن حجر حين قال: «يُستحب السواك عند القيام إلى الصلاة، لما في الصلاة من تقرُّبٍ إلى الله تعالى، فاقتضى ذلك أن يكون العبد على حالٍ من الكمال والنظافة، إظهارًا لشرف العبادة، ... وقد قيل إن ذلك متعلّقٌ بأمرٍ غيبي، وهو قرب المَلَك الذي يستمع القرآن من المصلِّي حتى إنه لا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه»(٣).

وإذا تأملنا سيرة النبي (ﷺ)، العملية، وجدنا أن السواك كان جزءًا ثابتًا من عبادته اليومية، ممَّا يؤكِّدُ أنَّ هذا السلوك لم يكن عارضًا، بل مظهرًا مستمرًا من مظاهر الطهارة القلبية والبدنية. فمن ذلك ما رُوي عن حذيفة (رضي الله عنه): «كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»، وحديث عائشة (رضي الله عنها): «كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك»، وفي رواية عن ابن عباس: «كان يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك». ويُظهر هذا السياق

---

(١) شرح النووي على مسلم ١٤٢/٣.

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي ١٨٤/١.

(٣) فتح الباري ٣٧٦/٢، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٠٧/١.

الحياتي للنبي (ﷺ) ارتباط السواك بمواطن التعبد، خاصة الصلاة والتهجد، وهو ما يدل على أن النظافة هنا ليست مقصودة لذاتها فقط، بل بوصفها تهيئة للوقوف بين يدي الله. وقد بيَّن ابن القيم هذا المعنى بجلاء في زاد المعاد، حيث قال: «وكان النبي (ﷺ) يبالغ في السواك، حتى ربما استاك بعد كل صلاة وقيام، وكان يعرف من فعله أنه يبالغ حتى كاد يُحفي فمه»[(١)].

وهذا الأسلوب العملي النبوي في المداومة والمبالغة، يعكس تأكيدًا ضمنيًا لما بلّغه النبي (ﷺ) من استحباب السواك، ويُبرز الجانب التربوي في الاهتمام بنظافة الأداة التي يخرج منها الذكر والدعاء والتلاوة.

وقد علَّق ابن دقيق العيد على موضع من مواضع السواك فقال: «فيه دليل على استحباب السواك عند القيام من النوم وعلته: أن النوم مقتضٍ لتغيُّر الفم، والسواك هو آلة التنظيف للفم»[(٢)].

ويؤكد ذلك الدكتور النسيمي من زاوية علمية، إذ يذكر أن النوم يؤدي إلى ترسب مركبات في الفم وتكوّن ما يُعرف بالقَلَح[(٣)]، مما يبرِّر المواظبة على السواك عند الاستيقاظ[(٤)].

وإذا وسَّعنا النظر إلى المقاصد التربوية للشريعة، فإننا نرى أن السواك لم يُقدَّم مجرد عادة نظافة، بل رُبط بمقصد أعظم، عبَّرت عنه الكلمات النبوية: «السواك مطهرة للفم،

---

(١) زاد المعاد ١٦٧/١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٠٨/١.

(٣) القَلَحُ والقُلاحُ: صفرَة تعلو الْأَسْنَان فِي النَّاس وغَيرهم، وقيل: هُوَ أَن تكْثر الصُّفْرَة على الأَسْنَان وتغلظ ثمَّ تسود أَو تخضر. وَقد قَلِحَ قَلَحا فَهُوَ قَلِحٌ وأقلَحُ. المحكم ١٢/٣ (ل ق ح)، . وَقَالَ أَبو عُبيدٍ: هُوَ صُفْرة فِي الأَسنانِ وَوَسَخٌ يَرْكَبها من طُولِ تَرْكِ السِّوَاكِ. تاج العروس ٦٠/٧ (ق ل ح).

(٤) ينظر: الطب النبوي والعلم الحديث ١٨٧/١، وينظر: فوائد السواك الشرعية والصحية لـ محمد بن علوي العيدروس صـ ٣١.

مرضاة للرب». فهنا يتجلى (السياق التربوي)، الذي يربط بين السلوك الظاهري البسيط وبين رضا الله، مما يجعل من السواك عبادة يومية تُنمِّي الوعي بطهارة البدن والروح. وقد علَّق ابن العربي على هذا البعد التربوي بقوله: «السِّواكُ يزيدُ الرَّجُلَ فصاحةً، لأنه إذا لم يستك بَخِرَ فمُهُ، وإذا حضر مجلس عِلْمٍ لم يتجرَّأ أنْ يتكلَّم لأجل بخورة فمه، فحَرَمَهُ الكلام، وإذا استاك عند كلِّ وُضوءٍ فاحَ فُوهُ، وتكلَّم في كلِّ وقتٍ»[١].

ومن هذا يتضح أن السواك ليس فقط تهيئة للعبادة، بل هو أداة لتمكين المسلم من أداء دوره المجتمعي في العلم والتبليغ والبيان.

ومن الأحاديث التي تُبرز هذا المعنى الجمالي والتعبدي للفم، قول النبي (ﷺ): «*طيِّبوا أفواهكم بالسواك، فإنها طرق القرآن*»، وهو تعبير نبوي بديع يربط بين الأداة (الفم) والوظيفة (تلاوة كلام الله)، مما يمنح السواك منزلة خاصة في منظومة الطهارة والتعبد. وقد ذهب السيوطي إلى أن: «السواك من تهيئة البدن للوحي، كما أن الوضوء تهيئة للوقوف بين يدي الله»[٢].

ويدل ذلك على عمق النظرة النبوية إلى الطهارة، فهي ليست مظهرًا فحسب، بل تهيئة للاتصال بالخالق، سواء بالعبادة أو بتلقي الوحي.

ولعلَّ أقوى ما يُبرهن على مكانة السواك في الشريعة هو وروده ضمن خصال الفطرة، كما في حديث عائشة (رضي الله عنها): «عشر من الفطرة... والسواك»، وقد علق ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله: «السواك مجتمع عليه لا اختلاف فيه ... وقال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ أدركت أهل العلم يحافظون على السواك مع وضوء الصبح والظهر وكانوا يستحبونه مع كل وضوء وكانوا أشد محافظة عليه عند هاتين الصلاتين»[٣].

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك ٣٠٧/٢.

(٢) ينظر: الديباج على مسلم ١١٨/١.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٢٠٠/٧.

وهذا السياق الفطري يؤكد أن السواك ليس مجرد مستحب موسمي، بل هو عادة فطرية وفعل تعبدي دائم، يحافظ عليه أهل العلم والمربُّون في أشرف الأوقات.

ومن اللافت أن التوجيه النبوي بالسواك يتوافق توافقًا مذهلا مع ما توصَّل إليه الطب الحديث من فوائد السواك الصحية.

فقد أكَّد الأطباء أن السواك يحتوي على مركبات فعَّالة مضادة للبكتيريا، كـ بيكربونات الصوديوم، التي تُستخدم في معاجين الأسنان، وتعمل على تنظيف الفم واللثة ومنع التسوس.ومن أبرز الباحثين الذين تناولوا هذا الجانب الدكتور ظافر العطار، الذي شبَّه السواك بفرشاة أسنان طبيعية تحتوي على مسحوق مطهِّر مدمج فيها [١].

كما أظهرت دراسات حديثة من جامعات أمريكية وجنوب إفريقية أنَّ السواك يقلل من نسبة البكتريا، ويحمي الأسنان من النخر، وهو ما أكَّده الدكتور كينت كيوديل في مؤتمر دولي لأبحاث الأسنان[٢].

وهذا التوافق بين التوجيه النبوي والاكتشافات الطبية الحديثة ليس مصادفة، بل دليل على أن هذا الهدي النبوي هو من عند الله، إذ قال (ﷺ): «السواك مطهرة للفم»، وهي عبارة موجزة جمعت بين الطب والعبادة، بين الظاهر والباطن.

وقد عبَّر عن هذا المعنى البروفسور (فولفغانغ شبير) من مركز أبحاث نمساوي حين قال إن النبيَّ محمد (ﷺ)، هو أول من أوصى في التاريخ بالعناية بالأسنان، مما يجعله رائدًا في طب الفم والأسنان[٣].

يتبيَّن من هذا العرض المتكامل أن السواك في الشريعة ليس مجرد سنة شكلية، بل عبادة محورية تربط بين الطهارة والعبودية، وبين الجمال الظاهري والقبول عند الله.ومن خلال استقراء الأحاديث النبوية والسياقات المتعددة (اللغوية، الشرعية، التربوية،

---

(١) ينظر: السواك والعناية بالأسنان د. عبد الله عبد الزاق مسعود السعيد صـ ٤٨.

(٢) ينظر: الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٨٠، وفوائد السواك الشرعية والصحية صـ ٦٢.

(٣) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٧٩.

الصحية)، يتَّضح أن السواك مظهر من مظاهر الكمال الإيماني، وإحدى الأدوات العملية التي تساعد المسلم على تعظيم شعائر الله، بدءًا من فمه الذي يُتلى به القرآن، وانتهاءً برضى الرب جلَّ وعلا.

***

١٠.الشَّعيـــر/ التَّلبينةُ[١].

نصح رسول الله (ﷺ) أصحابه باستعمال التلبينة... جاء ذلك في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، منها:

ما رواه ابن ماجة في سننه من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):إِذَا أَخَذَ أَهْلَهُ الوَعْكُ، أَمَرَ بِالحَسَاءِ منَ الشَّعير فصُنِع، ثُمَّ أمرهم فحسوا منه، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَيَرْتُو[٢] فُؤَادَ الحَزِينِ، ويَسْرُو[٣] عَنْ فُؤَادِ السَّقِيمِ، كَمَا تَسْرُو إِحْدَاكُنَّ الوَسَخَ، عَن وَجْهِهَا بِالمَاءِ»[٤].

---

(١) الشعير نبات حولي بسُنبلة حبيبية، غني بالبروتينات والفيتامينات والمعادن كالكالسيوم والحديد. تُحضَّر منه التلبينة، وهي مفيدة لتخفيف الحزن وتهدئة القلب، وتُسهم في الشفاء خلال النقاهة. كما يفيد الشعير في علاج السعال وخشونة الحلق، ويُدر البول، ويقطع العطش، ويُخفف الحرارة. ينظر: معجم الأعشاب الطبية في الوطن العربي صـ ٢٧٥.

(٢) قَالَ أَبُو عبيد: قَالَ الْأَصْمَعِي: قَوْله يرتو فُؤَاد الحزين: أي يَشُدُّهُ ويُقوّيهِ. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤١٧/١، وتهذيب اللغة ٢٢٥/١٤.

(٣) يسرو: أي يكشف عن فؤاده. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤١٧/١، والإبانة في اللغة العربية ٢١٧/٣، وشرح السنة للبغوي ٣٠١/١١.

(٤) سنن ابن ماجة ١١٤٠/٢، كتاب: الطب، باب: التلبينة.

وفي الصحيحين من حديث عروة عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها): أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ المَيِّتُ، مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ»(١).

وفي السنن من حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «عَلَيْكُمْ بِالْبَغِيضِ النَّافِعِ، التَّلْبِينَةِ» يَعْنِي الحَسَاءَ قَالَتْ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، لَمْ تَزَلِ البُرْمَةُ عَلَى النَّارِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ، يَعْنِي يَبْرَأُ أَوْ يَمُوتُ»(٢).

وعنها (رضي الله عنها) قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، إِذَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا وجِعٌ لا يَطْعَمُ الطَّعَامَ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالتَّلْبِينَةِ، فَحَسُّوهُ إِيَّاهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَغْسِلُ بَطْنَ أَحَدِكُمْ، كَمَا يَغْسِلُ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ بِالمَاءِ مِنَ الوَسَخِ»(٣).

المعنى اللغوي:

جاء في معاجم اللغة أن التلبينة تُطلقُ على نوعٍ من الحساءِ، وتحديدًا الحساء المصنوع من النخالة أو الدقيق، يُضاف إليه اللبن والعسل، وقد سُمِّيت (تلبينة) لمشابهتها اللبن في البياض والنعومة والانسياب. يقول الفيروز آبادي: «التلبين: حساء يُتخذ من نخالة ولبن وعسل»(٤).

---

(١) صحيح البخاري ٧/٧٥، كتاب: الأطعمة، باب: التلبينة، وصحيح مسلم ٤/١٧٣٦، كتاب: السلام، باب: التلبينة مجمة لفؤاد المريض.

(٢) سنن ابن ماجة ٢/١١٤٠، كتاب: الطب، باب: التلبينة.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤١/٤٨.

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤/٢٦١.

ويُوضِّح الموفق البغدادي معناها من حيث القوام، فيقول: «التلبينة الحساء ويكون في قوام اللبن، وهو الدقيق النضيج لا الغليظ النيئ»(١).

ويؤكد الأزهري هذا المعنى بقوله: «التلبينة: حساء يُعمل من دقيق أو نُخالة، ويُجعل فيها عسل، وسُمِّيت تلبينةً تشبيهًا لها باللبن، لبياضها ورقتها»(٢).

وقال ابن قتيبة: «وعلى قول من قال يخلط فيها لبن سميت بذلك لمخالطة اللبن لها»(٣). أمَّا الدَّاوُدِيُّ، فيقول: «يُؤخَذُ العَجِينُ غَيرَ خَميرٍ فَيُحرَجُ مَاؤُهُ وَيجْعَلُ حسوًا، وهو كثيرُ النَّفْعِ على قلَّتهِ لِأَنَّهُ لباب لا يخالطه شَيءٌ»(٤).

يتَّضح من ذلك أن التلبينة غذاءٌ بسيط التركيب، غني الفائدة، سهل الهضم، اشتُق اسمه من اللبن لما بينهما من تشابه في اللون والقوام والنعومة.

التحليل السياقي:

تُبرز النصوص النبوية التي وردت في فضل التلبينة مكانة هذا الغذاء ضمن المنظومة العلاجية في الهدي النبوي، حيث تكررت الإشارة إليها في سياقات متعلقة بالمرض، الحزن، الضعف الجسدي، وفقدان الشهية. وهذا التكرار السياقي يُسهم في توسيع دلالتها إلى ما يتجاوز المعنى اللغوي المجرد.

أولاً: السياق النفسي والجسدي:

في حديث النبي (ﷺ):«*إِنَّهُ لَيَرْتُو فُؤَادَ الحَزِينِ*» يُقترن ذكر التلبينة بتأثيرها النفسي والعاطفي، حيث تُخفف الحزن وتُروّح القلب. يقول ابن القيم: «وهي نافعة لمن له ضعف في المعدة أو قلة اشتهاء أو سوء هضم، وهي مُجمَّة لفؤاد المريض»(٥).

---

(١) فتح الباري لا بن حجر ١٤٦/١٠.

(٢) تهذيب اللغة ٣٦٤/١٥.

(٣) إعجاز الطب النبوي صـ ١٤١.

(٤) عمدة القاري لبدر الدين العيني ٢٣٨/٢١.

(٥) الطب النبوي صـ ٩٠.

ويقول الموفق البغدادي: «إذا شئتَ معرفة منافع التلبينة، فاعرف منافع ماء الشعير، ولا سيما إذا كانت من نخالة، فإنها تُجلي وتنفذ بسرعة، وتغذِّي غذاءً لطيفًا، وإذا شُربت حارَّة كانت أجلى وأقوى نفوذًا وأنمى للحرارة الغريزية»(١).

يتضح من هذا السياق أن دلالة التلبينة تتجاوز كونها مجرد حساء لتصبح غذاءً مهدِّئًا، لطيفًا، مجددًا للعافية

ثانياً: السياق الاجتماعي:

في حديث عائشة (ﷺ): «*كانت إذا مات الميت من أهلها... أمرت ببرمة من تلبينة فطُبخت...*»

يُظهر أن التلبينة كانت تُقدَّم في سياق الحزن والمواساة والعناية بالمصاب، مما يدلُّ على وظيفتها النفسية والاجتماعية، وفي هذا إشارة إلى أن المقصود من التلبينة هو التسرية عن المصاب والتخفيف من حزنه، لما فيها من التغذية والتدفئة واللين. وقد علَّق ابن حجر على هذا المعنى بقوله: «التَّلْبِينَةُ أَنْفَعُ من الحَسَاءِ لأَنَّهَا تُطْبَخُ مَطْحُونَةً فَتَخْرُجُ خَاصَّةُ الشَّعِيرِ بِالطَّحْنِ وهِي أَكْثَرُ تَغْذِيَةً وأَقْوَى فِعْلًا وأَكْثَرُ جَلَاءً وإِنَّمَا اخْتَارَ الأَطِبَّاءُ النَّضِيجَ لِأَنَّهُ أَرَقُّ وأَلْطَفُ فَلَا يَثْقُلُ على طَبِيعَةِ المَرِيضِ»(٢).

ويُستفاد من ذلك أن التلبينة لم تُقدَّم في هذا المقام لمجرد الإطعام، وإنما لخصوصيتها في التهدئة والتغذية الخفيفة السريعة، بما يتناسب مع حال المصاب، فتتحول من طعام تقليدي إلى وسيلة علاجية نفسية جسدية في آنٍ واحد.

ثالثاً: السياق العلاجي الصريح:

في حديثه (ﷺ)« *عَلَيْكُمْ بِالْبَغِيضِ النَّافِعِ، التَّلْبِينَةِ*» نجد وصفًا دقيقًا للتلبينة من حيث مذاقها وفائدتها. فهي قد تكون بغيضة للطعم، لكنها نافعة للجسد. قال المناوي: « سُميّت بغيضة لأنها مبغوضة للمريض مع كونها نافعة، كسائر الأدوية. وهي حساء يُصنع من

---

(١) فتح الباري ١٠/١٤٧.

(٢) السابق نفسه.

الدقيق فيصير كاللبن بياضًا ورقَّة، وقد يُضاف إليه العسل»[١]. هذا السياق يعزز دلالة التلبينة كدواء غذائي، لا يُقاس بمذاقه بل بفاعليته العلاجية.

رابعاً: السياق التقريري التوجيهي:

« إذا قيل له: إن فلانًا وجع، قال: عليكم بالتلبينة، فحسُّوه إياها...» يظهر أن التلبينة كانت علاجًا يُوصي به في حالات الضعف أو فقدان الشهية.قال ابن القيم: «هذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة، ويسروه، ويحدره، ويميّعه، ويعدل كيفيته ويكسر سورته، فيُريحها، فهي تغذية وعلاج في آنٍ واحد[٢]. كما أن التشبيه بالغسل بالماء يُبرز قوة تأثيره في تطهير البطن وتليينه.

التلبينة في ضوء الدراسات الحديثة:

أثبتت الدراسات الحديثة فاعلية حبوب الشعير ـ وهي المكوِّن الأساس للتلبينة ـ في خفض مستوى الكوليسترول في الدَّم[٣].

ويقول البروفيسور عبد الباسط محمد السيد، أستاذ التحاليل الكيميائية بالمعهد القومي للبحوث: «قال أبقراط في ماء الشعير: فيه عشر خصال معدودة، وهو أسرع الأغذية في الأمراض الحادة، إذ تحتوي الحبوب على إنزيمات هاضمة، إلى جانب فيتامينات (أ)، (ب)... والمغلي الساخن منه جلاءٌ للمعدة»[٤].

من خلال تتبع السياقات النبوية المتنوعة، يتضح أن التلبينة لم تكن مجرد طبق طعام، بل دواء شافٍ، ومواساة للنفس، وتغذية شاملة للجسد والروح. لقد اجتمعت فيها مقاصد الطب النبوي، بتركيزاته العاطفية والاجتماعية والعلاجية، مما يجعل دلالتها السياقية

---

(١) فيض القدير للمناوي ٣٣٨/٤.

(٢) ينظر زاد المعاد ١١٠/٤.

(٣) نباتات طبية ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية للدكتور/ مظفر أحمد الموصلي صـ ٢١٦.

(٤) الطب النبوي (رؤية علمية للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية) للأستاذ الدكتور/ عبد الباسط محمد السيد صـ ٩٩.

أوسع بكثير من معناها اللغوي المجرد، وهو ما أدركه العلماء من خلال ربط الأحاديث بمقاماتها المختلفة، فكانت التلبينة مثالًا حيًّا على تداخل الغذاء بالعلاج في الهدي النبوي الشريف.

***

١١. الصَّبـــــرُ[١].

ورد ذكرُ نبات الصَّبِر (*Aloe Vera*) كثيرًا في الأحاديث النبويَّة، ممَّا يدل على مكانته في الطب النبوي، ويُبرز خصائصه العلاجية الفعالة خاصة تضميد الجروح والتخفيف من التهابات العين والجلد، وقد أقرَّ الصحابة والتابعون بفاعليته، خصوصًا في ظروف خاصة كحال الإحرام، حيث يُمنع استخدام الطيب.

روي عُثْمَان بن عفَّان (ﷺ)، عَنْ النَّبي (ﷺ) أَنَّه قال في المحرم إذا اشتكى عينه: «ضَمِدْها بالصَّبْرِ[٢]»[٣].

---

(١) الصَّبر نبات صحراوي من فصيلة البروقية، يُخطئ البعض في تسميته بـ«الصبار». له جذع متخشب وأوراق لحمية تحتوي على سائل علاجي، وتعلوه زهرة عنقودية حمراء أو برتقالية. يُستخدم طبيًّا لتفريغ الصفراء، ومضادًا لعصيات السل، ويُعالج القروح، البواسير، الصداع، والحمرة وغيرها من الأمراض الجلدية. ينظر: النباتات الطبية واستخداماتها العلاجية صـ ٢٨٦.

(٢) ضمد: ضَمَدْتُ الجرحَ وغيرَه أضْمِدُه ضَمْداً بإسكان الميم، أي: شددته بالضِّماد والضِّمادَة، وهي العِصابةُ. ينظر: تهذيب اللغة ٦/١٢ (ض د م)، والصحاح ٥٠١/٢ (ض م د)، ولسان العرب ٢٦٤/٣ (ض م د).

(٣) صحيح ابن حبان ٢٦٩/٩.

كما روي عن نُبَيه بنِ وهبٍ، أن عُمَرَ بنَ عُبَيدِ اللهِ بنِ مَعمَرٍ «اشتَكَى عينَه وهو مُحرِمٌ فأرادَ أن يَكحَلَها فأمَرَ أبانُ بنُ عثمانَ أن يُضَمِّدَها بصبرٍ، وزَعَمَ أنَّ عثمانَ (ﷺ) حَدَّثَ عن النَّبِيِّ (ﷺ) أنَّه كان يَفعَلُه»(١).

وعن أُمِّ سَلَمَةَ (ﷺ) قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) حِينَ تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَلَى عَيْنِي صَبْرًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّمَا هُوَ صَبْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ فِيهِ طِيبٌ، قَالَ: «إِنَّهُ يَشُبُّ الوَجْه(٢) فَلا تَجْعَلِيهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ، وَتَنْزَعِينَهُ بِالنَّهَارِ»(٣).

وفي حديث آخر رواه البيهقي عن قَيْسِ بْنِ رَافِعٍ الْأَشْجَعِيِّ (ﷺ)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَالَ: «مَاذَا فِي الأَمَرَّيْنِ مِنَ الشِّفَاءِ؟: الصَّبِرِ والثُّفَّاءِ»(٤).

المعنى اللغوي:

قال الخليل بن أحمد: «الصَّبِر، بِكَسْرِ البَاءِ، عُصارةُ شَجَرٍ ورَقُهَا كقُرُبِ السَّكاكِينِ، طِوَالٌ غِلاظٌ، فِي خُضْرتِها غُبْرةٌ وكُمْدَةٌ مُقْشَعِرَّةٌ المَنْظَر، يَخْرُجُ مِنْ وسَطِهَا ساقٌ عَلَيهِ نَوْرٌ أَصفرُ تَمِهُ الرِّيح»(٥)، ووصفه الجَوهَرِيُّ بقوله: «الصَّبِرُ هَذَا الدَّواءُ المرُّ»(٦). ويضيف أَبو حَنِيفَةَ مبيّنًا شكل النبات: «نَباتُ الصَّبِر كنَباتِ السَّوْسَن الأَخضر، غَيْرَ أَن ورقَهُ أَطولُ، وأَعرضُ، وأَثْخَنُ كَثِيرًا، وهو كَثِيرُ المَاءِ جِدًّا»(٧).

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٤٨٤/٩، كتاب: الحج، باب: المحرم يكتحل ما ليس بطيب، ومصنف ابن أبي شيبة ١٨٣/٣، كتاب: الحج، في المحرم يكتحل بالصبر، ويداوي به عينه.

(٢) يَشُبُّ الوَجْه: أَي يُلَوِّنُه ويُحَسِّنُه. لسان العرب ٤٨٢/١ (ش ب ب).

(٣) سنن أبي داود ١٩٢/٢، كتاب: الطلاق، باب: فيما تجتنبه المعتدة في عدتها، وسنن النسائي ٢٠٤/٦، كتاب: الطلاق، باب: الرخصة للحادة أن تمتشط بالسدر.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٥٨٢/٩، كتاب: المراسيل، باب: أدوية النبي (ﷺ).

(٥) العين ١١٥/٧ (ص ر ب)، والتهذيب ١٢١/١٢ (ص ر ب).

(٦) الصحاح ٧٠٧/٢ (ص ب ر).

(٧) اللسان ٤٤٢/٤ (ص ب ر)، والتاج ٢٨٠/١٢ (ص ب ر).

ويشير الموفق البغدادي إلى الخصائص العلاجية للصَّبر، فيقول: «هو نَبْتٌ يُحصد ويُعصر، ثُمَّ يُترك حتى يَجِفَّ، وأجوده ما يُجلب من سَفْطَرَى ـ باليمن ـ يدفع ضرر الأدوية إذا خُلط معها، وينفع ورم الجفن ويفتح سَدَد الكبد، ويُذهب اليرَقان، كما ينفع قروحَ المعدة كثيرًا»[(١)].

ويُضيف نشوان الحميري وصفًا دقيقًا لخواصّه وتأثيره الطبي، فيقول: «هو عصارةُ شجرٍ، حارٌّ في الدرجة الثانية، يابسٌ في الثالثة، يُنقِّي المعدة والرَّأسَ والمفاصلَ من البلغم، ويُسهِّل الطبع، ويفتحُ سُدَدَ الكبد، ويُذهب اليرَقان، فإن أكثر منه سخَّجَ المعدة، وهو يُلصِق القروحَ البطيئةَ الاندمال، كقروح الخصيتين ونحوهما، وإذا دِيفَ بالماء نفع من الورم في الفم والأنف والعينين، وسكَّن حكَّة العين والمآقي، وإذا خُلط بالخلِّ ودُهْن الورد وجُعل على الجبهة والصَّدغين سَكَّن الصُّدَاع»[(٢)].

التحليل السياقي:

تُظهر الأحاديث النبوية أن لفظ «الصَّبِر» لا يُراد به في هذا السياق الخُلُق النفسي، بل النبتة المعروفة ذات الخصائص العلاجية. ففي حديث عثمان بن عفان (ﷺ)، أن النبي (ﷺ) قال في المحرم إذا اشتكى عينه: «ضمِّدها بالصَّبِرِ»، يتضح أن المقصود بالصبر هو نبات يُستخدم للتضميد والعلاج، لا سيما أن الحديث ورد في سياق بيان ما يجوز للمحرم فعله من التداوي، بشرط ألا يتضمن طيبًا. وقد استدل البيهقي بهذا الحديث على جواز التداوي للمحرم ما لم يكن فيه طيب[(٣)]، وأكَّد النووي في شرحه أن الصبر هنا هو النبات المعروف في الطب، لا المعنى الخُلُقِي[(٤)].

---

(١) الطب من الكتاب والسنة صـ ١٢٤.

(٢) شمس العلوم ٣٦٥٣/٦.

(٣) ينظر: السنن الكبرى للبيهقي ٤٨٤/٩، كتاب: الحج، باب: المحرم يكتحل ما ليس بطيب.

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم ١٢٤/٨.

وقد أكَّدت الدراسات العلمية الحديثة أن في الصبر (*Aloe Vera*) مواد مضادة للالتهاب، فإذا ما وضع خلاصة نبات الصبر على المنطقة الملتهبة سكن فيها الالتهاب، وخفَّ فيها الاحتقان وزال الألم(١).

ويمتد هذا الفهم إلى التطبيق العملي عند التابعين، كما في أثر نُبيه بن وهب حين أمر أبان بن عثمان بتضميد عينه بالصبر أثناء الإحرام، مستندًا إلى حديث عثمان. وعلَّق ابن عبد البر في التمهيد بأن هذا يدل على رسوخ هذا المعنى وانتشاره بين الصحابة والتابعين(٢)، مما يؤكد أن الصبر لم يكن يُعد من الطيب، بل من الأدوية المباحة استعمالًا.

وفي حديث أم سلمة (رضي الله عنها)، أنها قالت: «*دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) حين تُوفي أبو سلمة وقد جعلت على عيني صبرًا...*» يتبيَّن أن النبي (ﷺ) لم يُنكر استعمال الصبر لكونه دواء، بل بيَّن أن النَّهي عن استخدامه نهارًا في زمن الحداد إنما كان بسبب أثره التجميلي الظاهر، لا لأنه من الطيب. وقد فصَّل ابن حجر هذا المعنى بقوله: «وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ مَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لَهَا مِنْ جِنْسِ مَا مُنِعَتْ مِنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّزَيُّنِ»(٣). مما يدل على أن النهي كان لأجل الزينة، لا ذات المادة.

والمرأة في فترة الحداد ينبغي ألا تتزين، والرسول (ﷺ) ينبِّه إلى أن الصبر يشب الوجه، أي يحسنه ويلونه، وقد أكَّد ذلك عدد من الدراسات العلمية الحديثة التي أشارت إلى أن في الصبر مواد تحافظ على سلامة الجلد وجمال البشرة(٤).

---

(١) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٤٩.

(٢) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٣٦٣/٢٤.

(٣) فتح الباري ٤٩٢/٩.

(٤) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٥٠.

ويأتي حديث قيس بن رافع: «*ماذا في الأمرَّين من الشِّفاءِ؟ الصبر والثفاء*»، ليؤكد بوضوح وظيفة الصبر كعلاج، حيث أورده ابن القيم في كتاب الطب النبوي ضمن قائمة الأدوية الفعالة، موضحًا أن الصبر مادة قابضة مجففة برفق، نافعة لأمراض العين(١).

تكشف هذه الدراسة أن «الصبر» في الأحاديث النبوية يُراد به النبتة الطبية لا الخلق المعنوي، وقد استُعمل في سياقات متعددة كالتداوي في الإحرام والحداد. وقد ميَّزت السنة النبوية بين الاستخدام العلاجي والتجميلي، مما يعكس دقة الشريعة في مراعاة المقاصد. كما تؤكد الأبحاث الطبية الحديثة فاعلية هذا النبات في التضميد والعلاج، مما يعكس انسجام الوحي مع معطيات الطب.

***

(١) ينظر: الطب النبوي صـ ٢٥٢.

١٢.القُسْطُ الهِنْدِيُّ/ البَحْرِيُّ.

تكررت الإشارة إلى القسط الهندي في عدد من الأحاديث النبوية، منها: قول النبي (ﷺ): «إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحِجَامَةُ، والقُسْطُ البَحْرِيُّ»[١].

وعنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِهَذَا العُودِ الهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ: يُسْتَعَطُ بِهِ[٢] مِنَ العُذْرَةِ[٣] ، وَيُلَدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ[٤]»[٥].

وروى زَيْد بْن أَرْقَمَ أن النبي (ﷺ) قال: «تداووا مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ بِالقُسْطِ البَحْرِيِّ وَالزَّيْتِ»[٦].

---

(١) صحيح البخاري ١٢٥/٧، كتاب: الطب، باب: الحجامة من الداء، وصحيح مسلم ١٢٠٤/٣، كتاب: المساقاة، باب: حل أجرة الحجامة، والسنن الكبرى للبيهقي ٥٦٩/٩، جماع أبواب كسب الحجام، باب: ما جاء في فضل الحجامة على طريق الاختصار.

(٢) الاسْتِعَاطُ: إدْخَالُ الدَّوَاءِ فِي الأَنْفِ. النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب ١٩٣/١.

(٣) العُذْرة: وجَع الحَلْق من الدَّمِ. التهذيب ١٨٦/٢ (ع ذ ر)، والصحاح ٧٣٨/٢ (ع ذ ر)، واللسان ٥٥٣/٤ (ع ذ ر). وقال مصعب بن عبد الله: العُذْرَة: قُرحَةٌ تَخرجُ في الخَرْم الذي بين آخر الأنف وأَصْلِ اللَّهاة، تُصِيبُ الصِّبيان عند طُلُوع العُذْرَة، فتَعْمَد المَرأةُ إلى خِرقة فَتَفْتِلَها فَتْلًا شديدا وتُدخِلَها في أنفِه، فتَطْعَن ذَلِك الموضعَ فيَنْفَجِر منه دمٌ أَسودُ. المجموع المغيث ٤١٥/٢.

(٤) قَالَ ابْن شُمَيل: ذاتُ الجَنْب هِيَ الدُّبَيْلة، وهِي قَرْحَةٌ قبيحة تثقبُ الْبَطن، وَرُبمَا كَنَوْا عَنْهَا فَقَالُوا: ذاتُ الجَنْب. التهذيب ٨٤/١١ (ج ن ب)، واللسان ٢٨١/١ (ج ن ب).

(٥) صحيح البخاري ١٢٤/٧، كتاب: الطب، باب: السعود بالقسط الهندي، وصحيح مسلم ١٧٣٤/٤، كتاب: السلام، باب: التداوي بالعود الهندي وهو الكست، وسنن ابن ماجه ١١٤٦/٢، كتاب: الطب، باب: دواء العذرة والنهي عن الغمز.

(٦) سنن الترمذي ٤٧٥/٣، أبواب: الطب، باب: ما جاء في دواء ذات الجنب.

وعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) بِابْنٍ لَهَا قَدْ عَلِقَتْ عَلَيْهِ مِنَ العَذِرَةِ وَهُوَ يَسِيلُ أَنْفُهُ دَمًا فَقَالَ: «وَيْلَكُنَّ لَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ فَأَيُّمَا امْرَأَةٍ كَانَ بِوَلَدِهَا هَذَا الْوَجَعُ فَلْتُحِلَّ لَهُ كُسْتًا هِنْدِيًّا[1] بِالمَاءِ، ثُمَّ تُسْعِطُهُ إِيَّاهُ»[2].

المعنى اللغوي:

القسط الهندي عبارة عن نبات هندي الموطن، يبلغ ارتفاعه متر ونصف (١,٥م)، وله أوراق وزهو وساق، وقد يُسمى بالقسط البحري أيضًا، وهذه التسمية لأن العرب كانت تجلبه عن طريق البحر بالسفن الواردة من الهند إلى الموانئ اليمنية[3].

وجذوره قد تكون سوداء وقد تكون بيضاء حسب فصيلة النبات إلا أن الجذور السوداء أقوى وأنفع، واشتهر اسمها بعود القسط الهندي الأسمر وطعمه مر، أما الآخر الأبيض فغالب التسمية المعروف بها عند العطارين هو عود القسط البحري الأبيض وطعمه أقل مرارة من الآخر وقد يقال عنه الحلو[4].

يقول داود الأنطاكي في التذكرة: «القسط ثلاثة أصناف أبيض خفيف يحذو اللسان مع طيب رائحة وهو الهندي، وأسود خفيف أيضًا وهو الصيني، وآخر رزين وكله قطع خشبية تجلب من نواحي الهند، قيل: شجر كالعود، وقيل: نجم لا يرتفع وله ورق عريض ولعله الأظهر، والراسن هو الشامي منه، والقسط من العقاقير النفيسة... وهو حار في الثانية يابس في الثالثة أو حرُّه كَيُبسه»[5].

---

(١) الكُسْتُ: الَّذِي يُتَبَخَّر بِهِ، لُغَةٌ فِي الكُسْطِ والقُسْطِ؛ كلُّ ذَلِكَ عَنْ كُرَاعٍ؛ هُوَ القُسْطُ الهِنْدِيّ عُقَارٌ مَعْرُوفٌ؛ وَالْكَافُ وَالْقَافُ يُبَدَّلُ أَحدهما من الآخر. لسان العرب ٧٨/٢ (ك س ت).

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٨٩/٧.

(٣) القسط الهندي جوهرة من الطب النبوي صـ ١١.

(٤) السابق نفسه.

(٥) تذكرة داود الأنطاكي صـ ٣١١.

التحليل السياقي:

يتبين من خلال النصوص الحديثية أن النبي (ﷺ) استخدم تسمية القسط بصيغتين مختلفتين: «البَحْرِي» و«الهِنْدِي»، وقرن كل نوع بسياق علاجي مخصوص وطريقة استعمال دقيقة، مما يدل بوضوح على أن التوجيه النبوي في وصف الأدوية لم يكن عشوائيًّا، بل جاء منسجمًا مع طبيعة المرض وخصائص الدواء ومدى ملاءمته للحالة المرضية. فقد قال النبي (ﷺ):«إنَّ أمثلَ ما تداويتم به الحجامةُ، والقُسْطُ البحري»، وفي هذا التنصيص ما يرفع القسط البحري إلى مرتبة عالية من الفعالية، حيث قرنه بالحجامة التي تعد من أهم الوسائل العلاجية في الطب النبوي.

وفي حديثٍ أم قيس بنت محصن، «عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية.....» يشير إلى أن القسط الهندي، المعروف بشدَّة حرارته، خُص بأمراضٍ يغلب عليها البرد والرطوبة، وقد حُددت له طريقتا استعمال دقيقتان: السعوط واللدود، وهما طريقتان تتناسبان مع طبيعة تلك الأمراض وموقعها العميق في البدن.

وهنا تتجلَّى الدقة السياقية في الوصف النبوي، إذ إنَّ استخدام كل نوع من القسط جاء في موضعه العلاجي المناسب. وقد فرَّق العلماء بين نوعي القسط، فذكر ابن حجر العسقلاني أن: «القسط نوعان: هندي، وهو أشد حرارة، ويُعرف بالأسود، وبحري، ويُعرف بالأبيض، وكلاهما نافع بحسب الحاجة»[(١)].

وهذا يُبرز دور السياق العلاجي في اختيار النوع الأنسب، حيث يُستخدم القسط الهندي – لما فيه من حرارة وقوة – في الحالات التي يغلب عليها البرد أو الرطوبة، مثل العُذْرَة وذات الجنب.

وقد أكَّد العلماء ذلك، فقال العيني: «العود على أَنْوَاع: الهِنْدِيّ أفضل من الكل، فَلذَلِك خصَّه النَّبِي (ﷺ) بِالذكر»[(٢)]. مشيرًا إلى تميّز القسط الهندي من حيث التأثير وقوة الفعل.

---

(١) فتح الباري ١٠/١٤٨.

(٢) عمدة القاري ٢١/٢٣٩.

كما بيَّن الشيخ الإتيوبي أن العود الهندي هو القسط المشار إليه في الحديث، ونُسبت إليه سبعة أشفية، لا على سبيل الحصر، بل للدلالة على تعدد منافعه وفعاليته، خاصة في المواضع التي حُدد فيها اسلوب الاستعمال وفقًا لطبيعة الداء وموضعه(١).

ومن شواهد دقة هذا التوجيه ما ورد في رواية جابر (ﷺ) أن امرأة جاءت بابن لها إلى (ﷺ) وقد أصيب بالعُذْرَة، وكان أنفه يسيل دمًا، فلما رأى النبي (ﷺ) أن الطرق المتبعة غير ملائمة، قال: «فلتحلَّ له كُستًا هنديًّا بالماء، ثم تُسعطه إياه»، وهو توجيه نبوي دقيق يراعي عمر الطفل، ويقترح تليين القسط بالماء ليُستخدم بطريقة مناسبة وآمنة، ممَّا يُظهر وعيًا طبيًّا متقدمًا في مراعاة الحالة الفردية للمريض.

وقد علَّق المناوي على هذا الحديث بقوله: «أي الزموا معالجته بالقسط بأن يُدق ناعمًا ويُذاب ويُسعط به، فإنه يصل إلى العذرة فيقبضها لكونه حارًا يابسًا»(٢). مُشيرًا إلى تفاعل الخواص الفيزيائية والدوائية للنبات مع طبيعة المرض.

كما شرح ابن القيم الجوزية هذه الأحاديث ضمن سياقها الطبي، مبينًا أن ما ورد في السنة النبوية يتوافق مع ما نتائج الطب التجريبي، فقال: «القسط نوعان، أحدهما أبيض يُقال له البحري، والآخر أسود يُقال له الهندي، وهما في غاية النفع، وخصوصًا الهندي، لأنه حار يابس في الدرجة الثالثة، لطيف، ينفع من برد المعدة والكبد والبلغم، وذات الجنب، ووجع الحلق إذا استعط به»(٣)، مما يُبرز أن التوجيه النبوي لم يأتِ من فراغ، بل استند إلى معرفة دقيقة بالتأثير الفسيولوجي للنبات.

ويُعزز هذا الفهم ما ذكره الإمام الذهبي في كتابه (الطب النبوي)، حيث قال: «القسط عود معروف كثير المنافع، يُسخَّن، ويُقوِّي القلب والمعدة، ويُحلل الرياح، وينفع من

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ٢٤١/٣٦.

(٢) فيض القدير ٣٢٤/٤.

(٣) زاد المعاد ٣٢٤/٤.

السموم»[١]، وهو وصف يضع القسط في مصاف الأدوية المجربة التي جمعت بين الاستعمال النبوي والمعرفة الطبية التقليدية.

ومن اللافت أن النبي (ﷺ) استخدم في هذه الأحاديث مصطلحاتٍ طبيَّةٍ متخصصةٍ كـ «السعوط» و«اللدود»، وهي ليست مجرد ألفاظ لغوية، بل تعكس معرفة فنية بأساليب إعطاء الدواء، سواء عن طريق الأنف أو أحد شقي الفم، وهذا يدل على وعي طبي متكامل يراعي المكان، والأسلوب، ونوع الدواء.

وقد أجمعت المصادر الطبية القديمة على منافع متعددة للقسط، منها: إدرار الطمث والبول، وقتل ديدان الأمعاء، ودفع السموم، وعلاج الحمى بأنواعها، وتقوية المعدة، وتنشيط الرغبة الجنسية، وإزالة الكلَف[٢].

وذكر ابن طولون أن القسط بنوعيه إذا شُرب: «نفع من ضعف الكبد والمعدة، ومن برْدِهما، ومن حُمَّى الرِّبع والدَّوْر وقطعا وجع الجنب، ونفعا من السموم»[٣]. وهي فوائد تتوافق مع التوجيهات النبوية وتُبرز مدى انسجامها مع المعارف الطبية السائدة والتجريبية.

يتضح من خلال هذا العرض أن السياق الذي وردت فيه توجيهات النبي (ﷺ) بشأن استعمال القسط بنوعيه سياقٌ علاجيٌّ نبويٌّ دقيق، يراعي طبيعة المرض وخصائص الدواء ومدى ملاءمته للحالة المرضية. وقد كشفت الأحاديث عن وعيٍ طبي متقدِّم يتمثل في اختيار نوع القسط الأنسب (الهندي أو البحري) وفقًا لطبيعة العِلَّة من حيث البرودة أو الرطوبة، إضافة إلى تحديد طريقة الاستعمال المناسبة مثل السعوط واللدود. وقد بيَّن العلماء هذا التمايز بوضوح، وشرحوه من منظور الطب التقليدي، مما يُبرز البُعد التحليلي السياقي للنص النبوي، ويُظهر توافقه مع المفاهيم الطبية المعتبرة، سواء في

---

(١) الطب النبوي للذهبي صـ ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) القسط الهندي جوهرة من الطب النبوي صـ ٢١.

(٣) الأحكام النبوية في الصناعة الطبية للحموي صـ ٣٣.

زمنهم أو في ضوء الطب التجريبي الحديث. ومن هنا، فإن هذا السياق يُعد نموذجًا ناصعًا على أن التوجيه النبوي في المجال العلاجي لم يكن عفويًا أو رمزيًا، بل جاء مؤسسًا على فهم دقيق لطبيعة المرض والدواء وطرق التداوي.

***

١٣.الكَمأةُ[١].

ورد ذكر الكمأة صريحًا في عدة أحاديث نبوية بألفاظ متقاربة، من أبرزها:

ما رواه الإمام البخاري، أن رسول الله (ﷺ) قال: «الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، ومَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[٢]، وقد رواه مسلم كذلك باللفظ نفسه[٣].

وفي رواية أخرى عند مسلم، قال (ﷺ):«الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ[٤] الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[٥].

---

(١) الكمأة (الفقع) فطر بري لا ورق له ولا جذوع، ينمو في الأرض أو قرب جذوع الأشجار كالبُلوط. استُخدمت طبيًا في علاج حالات من التراخوما (رمد العين)، حيث أثبت الدكتور المعتز بالله المرزوقي فعالية ماء الكمأة بعد تقطيره في العين المصابة ثلاث مرات يوميًا لمدة شهر، وذلك خلال مؤتمر عالمي عن الطب الإسلامي.ينظر: الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ٥١ ـ ٥٣.

(٢) صحيح البخاري ١٢٦/٧، كتاب: الطب، باب: المن شفاء للعين.

(٣) صحيح مسلم ١٦١٩/٣، كتاب: الأشربة، باب: فضل الكمأة، ومداوة العين بها.

(٤) المَنّ: هُوَ الطَّلُّ الَّذِي يَسْقُط عَلَى الشَّجَر ، فَيُجْمَع وَيُؤْكَل حُلْوًا، وَمِنْهُ التَّرَنْجَبِين. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ٣٠٨/١٧.

(٥) صحيح مسلم ١٦٢٠/٣.

كما جاء في رواية عند ابن ماجه أن النبي (ﷺ) قال: «الكَمْأَةَ مِنَ المَنِّ، الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[١].

المعنى اللغـــوي:

الكمأةُ: جَمْعٌ، واحدُها كَمْءٌ، وقيل: كَمْأَةٌ للواحدة، والجمعُ كَمْءٌ[٢]، والكمأ: نَبات يُنَقِّضُ الأَرضَ فَيَخْرُجُ كَمَا يَخرج الفُطْرُ[٣]، وربما تُسمى بذلك لانشقاق الأرض عنها، يقولون: كَمِئَتْ رِجْلِي: أي تَشَقَّقَتْ[٤]، والكمأة نوع من الدرنيات والجذور لا ورق لها ولا ساق ولا جذور ولا زهر وتخرج في الأرض بدون زرع[٥]، والعرب تسميه «جُدَرِيّ الْأَرْضِ» شبَّهها بالجُدَرِي، وهو الحَبُّ الذي يَظْهَرُ في جَسَدِ الصَّبي لظُهورها من بطن الأرض، كما يظهر الجُدَرِي مِنْ بَاطِنِ الجِلْد[٦]،وتُسَمّى الْكَمْأَةَ أَيْضًا «بَنَاتَ الرَّعْدِ» لِأَنَّهَا تَكْثُرُ بِكَثْرَتِهِ ثُمَّ تَنْفَطِرُ عَنْهَا الْأَرْضُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ بِأَرْضِ العَرَبِ وتُوجَدُ بِالشَّامِ ومِصْرَ فَأَجْوَدهَا ما كَانَتْ أَرْضُهُ رَمْلَةٌ قَلِيلَةُ المَاءِ ومنها صِنْفٌ قَتَّالٌ يَضْرِبُ لَوْنُهُ إلى الحُمْرَةِ وهي بارِدَةٌ رَطْبَةٌ في الثَّانِيَةِ رَدِيئَةٌ لِلْمَعِدَةِ بَطِيئَةُ الهَضْمِ[٧]، وسمَّاها النبي (ﷺ): «منًّا»؛ لأنه يأتي عفوًا بغير معالجة ولا اعتمال ولا زرع، كالمن الذي أنزل على بني إسرائيل[٨].

---

(١) سنن ابن ماجه ١١٤٣/٢، كتاب: الطب، باب: الكمأة والعجوة.

(٢) المحكم ٩٧/٧ (ك م أ).

(٣) لسان العرب ١٤٨/١ (ك م أ).

(٤) مقاييس اللغة ١٣٧/٥ (ك م ي).

(٥) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، جمع وترتيب: شحاته صقر صـ ٤٧٩ بتصرف.

(٦) النهاية ٢٤٦/١.

(٧) فتح الباري ١٦٣/١٠.

(٨) مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٣٦٨/٣، وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٢٥٨/١.

التحليل السياقي:

ورد عن النبي (ﷺ) قوله: «الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين»، وهو حديث ظاهر اللفظ، عميق الدلالة، تتداخل فيه طبقات متعددة من السياق، تجعل من ذكر هذا النبات الصحراوي بابًا لفهم أوسع لمفهوم الرزق والشفاء في السنة النبوية. والكمأة كما قال النووي وابن منظور والكرماني ـ نبتة تنبت من غير زرع ولا ساق، تُخرجها الأرض بعد المطر، بلا بذر ولا جهد بشري[1]. وهذا المعطى اللغوي لا يُفهم على أنه مجرد تعريف، بل هو مفتاح للدلالة، إذ يُبرز خروج الكمأة عن السنن المألوفة في الإنبات، مما يجعل تشبيهها بالمنّ منطقيًا في ضوء الرؤية النبوية.

فحين قال النبي (ﷺ) إنها «من المن»، لم يكن يقصد بالضرورة أنها من نفس نوع المن الذي أنزل على بني إسرائيل، كما ورد في بعض روايات مسلم: «من المن الذي أنزل على بني إسرائيل»، بل كما صرَّح القاضي عياض وابن الجوزي والنووي وابن حجر، إنما قصد المشابهة في الهيئة والصفة لا في الجوهر، إذ يشتركان في كونهما رزقًا نازلاً من السماء بلا كلفة ولا معالجة، أي منَّة بلا تعب[2]. ويقول الملا علي القاري في تعليقه على هذا: «إنما اختُصت الكمأة بهذه الفضيلة؛ لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة، ويُستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر والبصيرة»[3]. في إشارة إلى الطابع النقي لهذا الرزق الذي لم يتلوث بكسب أو شبهات.

هذا البعد الرمزي يستدعي السياق التاريخي الأعم، إذ يتجاوز النبي (ﷺ) البيئة العربية المباشرة إلى ذاكرة الوحي السابقة، مستحضرًا قصة المن والسلوى، «حين أنزل

---

(١) شرح النووي على مسلم ٣/١٤، ولسان العرب ١٤٨/١، والكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرماني ٧/١٧.

(٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٣٥/٦، وكشف المشكل ٢٥٧/١، وشرح النووي على مسلم ٤/١٤، وفتح الباري ١٩٠/١، والجامع الصحيح للسنن والمسانيد ٣٠٨/١٧.

(٣) شرح مسند أبي حنيفة صـ ٢٤٩.

الله سبحانه المن والسلوى على بني إسرائيل فكان يسقط عليهم في مجالسهم كالثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فيؤخذ منه كل يوم ما يُغني ذلك اليوم»[١]، ليُدرج الكمأة ضمن سلسلة النعم الخارقة للعادة، التي يُدركها المؤمن لا عبر الأسباب، بل باليقين بالرازق. وهنا تلتقي الرؤية التوحيدية بالسياق النباتي، ليرسِّخ الحديث درسًا عقديًا في صورة نباتية عجيبة.

أما قوله (ﷺ): «وماؤها شفاء للعين»، فهو انتقال من الرزق إلى الشفاء، ومن الباطن الغيبي إلى التجربة الحسِّية، وهنا يُفتح الباب على السياق الطبي، إذ لم تعد الكمأة طعامًا فحسب، بل دواءً يُعصر ويُستخدم موضعيًّا، وقد نقل ابن القيم عن الغافقي: أن ماء الكمأة إذا عجن به الإثمد وقُطِّرت به العين، فإنه يقوي الأجفان ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة، ويمنع نزول النوازل، أي الالتهابات المؤذية للبصر[٢].

ثم يأتي تعليق النووي مؤكدًا هذا المعنى بقوله: «الصحيح بل الصواب أن ماءها مجردًا شفاء للعين مطلقًا ... وقد رأيتُ أنا وغيري في زمننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا فشفي»[٣]، مما يدل على أن هذا الأثر لم يكن عندهم مجرد نظرية بل ملاحظة عيانية.

وتؤيد ذلك دراسات حديثة أُجريت على مرضى التراكوما، وهو التهاب مزمن يصيب الملتحمة ويؤدي إلى تليف القرنية. حيث قُسّم المرضى إلى مجموعتين: عولجت الأولى بماء الكمأة، والثانية بالمضادات الحيوية، فظهر أن ماء الكمأة أسهم في تقليل تكون الخلايا الليفية المسببة للعتامة، كما عادل أثر السموم الناتجة عن المرض، وقلل نمو

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم١٦/١٦٠.

(٢) زاد المعاد ٤/٣٣٤.

(٣) شرح النووي ١٤/٥، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ٧/٢٨٨٨.

الخلايا الطلائية الشاذ، وزاد من تغذية الخلايا عبر توسيع الشعيرات الدموية. وبهذا يكون ماء الكمأة مانعًا لأخطر مضاعفات التراكوما بإذن الله [1].

لكن الشراح – كالنووي وابن القيم – أكَّدوا أن هذا الأثر ليس مطلقًا، بل مخصوص بأنواع من أمراض العين، وهو تقييد ينشأ من إدراك دقيق للسياق النبوي؛ إذ المقصود ليس أن ماء الكمأة دواء عام، بل أن الشفاء قد يُجعل في مخلوقات لا يُتوقع منها ذلك، وهو ما يعكس أيضًا بُعدًا إيمانيًا. ومن اللافت أن التراث العربي قبل الإسلام لا يوثق ـ فيما وصل إلينا ـ استعمال الكمأة في التداوي، لا سيما في أمراض العين، مما يرجح أن هذا التوجيه إما إلهام نبوي خاص، أو تجربة نبوية موفقة مؤيدة بالوحي، وهو ما يجعل الحديث سبقًا علميًا سابقًا لأوانه، تتكشف دلالاته الطبية مع تقدُّم البحث والتجريب[2].

ولا تكتمل دلالة الحديث إلا ضمن السياق البيئي والاجتماعي للكمأة، فهي نبتة تظهر فجأة بعد المطر، في مواسم الخصب، وكان العرب يعدونها من دلائل الخير، لا فقط لأنها طعام لذيذ، بل لأنها رزق غير متوقَّع، يظهر من الأرض دون حرث أو سعي. من هنا نفهم ربط النبي (ﷺ) لها بالمنِّ، لأنَّه أراد أن يُرسِّخ في النفوس أن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ويجعل الخير في مواضع لا تسبقها إشارات ظاهرة. يقول المازري: «إنَّما هو شيء ينشئُهُ الله (ﷻ) في الأرض حتَّى يصير إلى مَن يجتَنِيه»[3]، في تأكيد على أن الكمأة نموذج مصغَّر لفكرة العطاء الإلهي المفاجئ.

ويتوج الحديث بسياق مقاصدي رفيع؛ فهو لا يصف نبتة فحسب، ولا يسجل فائدة طبية فقط، بل يربّي المؤمن على الإيمان بأن الرزق لا يرتبط دائمًا بالكسب، وأن الشفاء قد يأتي بالثقة بالله قبل وصفة الطبيب، وأن عجائب الله قد تظهر في أضعف المخلوقات.

---

(١) عجائب العلاج بالكمأة للدكتور/ أيمن الحسيني صـ ٣٨-٤٢ بتصرف.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة صـ ٤٨٣ بتصرف.

(٣) المعلم بفوائد مسلم للمازري ١١٨/٣.

وبذلك تصبح الكمأة من "آيات الله في النبات"، لا لأنها تنبت من غير ساق فقط، بل لأنها تختصر أبعادًا متشابكة من الرزق، والبركة، والشفاء، والدروس الإيمانية.

إن تأمل هذا الحديث في ضوء السياق الكامل – من اللغة إلى البيئة، ومن التاريخ إلى التجربة، ومن الوظيفة إلى المقصد – يكشف أن السنة النبوية ليست مجموع ألفاظ مفصولة، بل نسيج دلالي متكامل، لا يُفهم إلا بإعادة بناء السياق الكلي، وعندها فقط يظهر المعنى كما أراده النبي (ﷺ): الكمأة ليست فقط من المن، بل هي من دلائل المنِّ.

***

المبحث الثاني
أثر السياق في دلالة الألفاظ الطبية الحيوانيـــــة

احتلّت الألفاظ الطبية ذات الأصل الحيواني مكانة ملحوظة في السنة النبوية، حيث ورد ذكر أشياء كألبان الإبل، وأبوالها، والعسل – وهو إفراز حيواني – وغيرها من المواد المرتبطة بالحيوان من حيث الأصل أو الاستخدام. وقد جاءت هذه الألفاظ في سياقات متنوّعة، تُبرز مقاصد الشريعة في التداوي، وتُبين حدود الاستعمال وأبعاده، سواء من الناحية العلاجية أو الوقائية. ومن هنا، فإن النظر في دلالة هذه الألفاظ من خلال سياقها الحديثي واللغوي يكشف عن جوانب دقيقة، لا تظهر بمجرد اللفظ، بل تتجلّى من خلال المقام الذي ورد فيه، ونوعية الخطاب، وطبيعة التوجيه النبوي.

١. أَبْوالُ الإِبِلِ (١) وأَلْبَانُها (٢).

(١) بوْل الإبل، ويُعرف في البادية بـ«الوزر»، يُستخدم طبيًّا منذ قرون، غالبًا ممزوجًا بحليب الإبل ويُشرب على الريق. يرى ابن سينا أن بوله في مرحلة «اللجيب» يعالج تضخم الطحال. وفي العصر الحديث، استُخدم في بعض مناطق الصحراء والكويت لعلاج اللوكيميا وسرطان المعدة.ينظر: التداوي بألبان الإبل وأبوالها لـ شهاب البدري يس صـ ٤٥ ـ ٤٧.

(٢) لبن الإبل يتميز بتركيبته الفريدة التي تجعله غذاءً وعلاجًا في آنٍ واحد، فهو غني بسكر اللاكتوز المفيد للمخ والجهاز العصبي، ويساعد في الوقاية من السكري والكوليسترول، كما يُستخدم في علاج الاستسقاء، اليرقان، أمراض الكبد والطحال، السل، والربو، ويحتوي على مواد مقاومة للسموم والبكتيريا، وأجسام مناعية تقاوم الأمراض، خاصة لدى حديثي الولادة.ينظر: التداوي بالسوائل بين الطب النبوي والطب الحديث: دراسة حديثية في ضوء الصحيحين صـ ٢٩٠، والتداوي بألبان الإبل وأبوالها صـ ٢٥ ـ ٣٨.

جاءت جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تقرر التداوي بألبان الإبل وأبوالها في سياق وقائع محددة وظروف بيئية وصحية مخصوصة، ومن أبرزها:

ما رَواهُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (ﷺ): «أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) المَدِينَةَ، فَاجْتَوَوْهَا[1]، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَفَعَلُوا، فَصَحُّوا...»[2].

وفي رواية النسائي عن أنس قال: «قَدِمَ أُعْرَابٌ مِنْ عُرَيْنَةَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ (ﷺ) فَأَسْلَمُوا، فَاجْتَوَوْا المَدِينَةَ حَتَّى اصْفَرَّتْ أَلْوَانُهُمْ، وَعَظُمَتْ بُطُونُهُمْ، فَبَعَثَ بِهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى لِقَاحٍ[3] لَهُ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا حَتَّى صَحُّوا، فَقَتَلُوا رُعَاتَهَا، وَاسْتَاقُوا الْإِبِلَ، فَبَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ (ﷺ) فِي طَلَبِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَّرَ أَعْيُنَهُمْ[4]، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِأَنَسٍ، وَهُوَ يُحَدِّثُهُ هَذَا الحَدِيثَ، بِكُفْرٍ أَوْ بِذَنْبٍ؟ قَالَ: «بِكُفْرٍ»[5].

---

(١) اجتووها: أي كرهوها للمرض الذي أصابهم بها، وأصله من الجَوى - بالجيم- وهو داء الجوف إذا تطاول، وقيل: اجتووها: استوْبلوها. نخب الأفكار ٣٧٣/٢.

(٢) صحيح مسلم ١٢٩٦/٣، كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: حكم المحاربين والمرتدين، وصحيح البخاري ١٢٣/٧/ كتاب: الطب، باب: الدواء بأبوال الإبل.

(٣) اللقاح: اللِّقْحَة، بِالكَسْرِ وَالفَتْحِ: النَّاقَةُ القَرِيبَةُ العَهْد بالنِّتاج، والجَمْعُ: لِقَحٌ، وقَدْ لَقِحَتْ لَقْحاً ولَقَاحاً، وناقةٌ لَقُوح: إذَا كَانَتْ غَزِيرة اللَّبَن، واللِّقَاح: ذوَات الأَلْبَان من الإبل. النهاية لابن الأثير ٢٦٢/٤، ولسان العرب ٥٨١/٢ (ل ق ح).

(٤) سُمِرَت - بالميم المخففة، وقيدها بعضهم بالتشديد، والأول أوجه- يعني: كحلت بمسامير محماة، وروي وسُمِل - باللام مخففة الميم-، فقيل: هما بمعنى واحد، والراء تبدل من اللام، وقيل: باللام: فقأها بشوك أو غيره، وأذهب ما فيها، وقيل: بحديدة محماة تدنى من العين حتى يذهب ضوءها. العدة في شرح العمدة ١٤٤٦/٣.

(٥) سنن النسائي ٩٨/٧، كتاب: تحريم الدم.

وعن ابن عباس (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): «إِنَّ فِي أَبْوَالِ الْإِبِلِ وَأَلْبَانِهَا شِفَاءً لِلذَّرِبَةِ[1] بُطُونُهُمْ»[2].

التحليل السياقي:

يفهم من الأحاديث السابقة أنَّ استعمال ألبان الإبل وأبوالها في التداوي لم يكن توجيهًا مطلقًا يصلح لكل زمانٍ ومكانٍ، بل اقترن بحالةٍ مرضيَّةٍ مخصوصة ظهرت لدى جماعةٍ قدِموا من بيئةٍ صحراويَّةٍ واجتووا المدينة، فأصابهم اضطرابٌ هضميٌّ أو خللٌ مناعيٌّ أو ضعفٌ في التكيُّفِ مع الجوِّ الجديد. دلَّهم النبي (ﷺ) على علاجٍ مستمدٍّ من بيئتهم الأصليَّةِ هو شرب ألبان الإبل وأبوالها، بوصفه دواءً مركبًا يوافق حالتهم الجسديَّة، لا تشريعًا عامًّا لجميع الناس وجميع الأمراض، فحكم هذا الدواء مرتبط بخصوصيَّةِ الحالة والبيئة.

هذا الفهم لم يقتصر على التحليل المعاصر؛ فقد أدركه العلماء الأوائل، واستخلصوه من دقَّة التوجيه النبوي. إذ قرَّرَ العيني: «أنَّ رسول الله (ﷺ) خصَّ العرنيين بذلك لما عرف من طَرِيق الْوَحْي أَن شفاءهم فِيهِ وَلَا يُوجد مثله فِي زَمَاننَا»[3].

وأيَّد ابن القيم هذا المعنى قائلاً: «ولمَّا كانت الأدوية المحتاج إليها في علاجهم هي الأدوية الجالبة التي فيها إطلاقٌ معتدلٌ وإدرارٌ بحسب الحاجة ـ وهذه الأمور موجودة في أبوال الإبل وألبانها ـ أمرهم النبي (ﷺ) بشربها؛ فإنَّ في لبن اللِّقاح جلاءً وتليينًا، وإدرارًا

(١) الذِّرب بالتحريك: الدَّاءُ الَّذِي يَعْرِضُ للمَعدة فَلَا تَهْضِمُ الطَّعامَ، ويَفْسُدُ فِيهَا وَلَا تُمْسِكُه. لسان العرب ٣٨٥/١ (ذ ر ب).

(٢) مسند الإمام أحمد ٤١٦/٤. وقال الإمام أحمد إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) عمدة القاري ١٥٥/٣.

وتلطيفًا، وتفتيحًا للسدد، إذ كان أكثر رعيها الشِّيْحُ(١)، والقَيصُوم(٢)، والبابونج(٣)، والأقحوان(٤)، والإذخر(٥)، وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء»(٦).

ويشرح ابن القيم أيضًا قائلا: « هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أنَّ إنسانًا أقام عليه بدل الماء والطعام شُفي به، وقد جُرِّبَ ذلك في قومٍ دفعوا إلى بلاد العرب فقادتهم الضرورة إلى ذلك فعُوفوا. وأنفع الأبوال: بولُ الجمل الأعرابيِّ وهو النَّجيب»(٧).

---

(١) الشِّيْحُ: لشِّيحُ: نبات شجري ذو ساق واحدة وأغصان كثيرة بأوراق صغيرة متراكمة، له زهر أقحواني أبيض يتوسطه صفار، وبذره دقيق. طعمه مرّ مع شيء من الحرافة، ورائحته قوية طيبة. يتعدد بأنواعه بحسب منبته، وينبت في عدة بلدان، وينتمي للفصيلة المركبة، وله خصائص نافعة لكثير من الأمراض. ينظر: القانون في الطب لابن سينا ٦٧٣/١، والشامل في الصناعة الطبية، الأدوية والأغذية لابن النفيس ٤٧٩/٢، والمعجم الوسيط ٥٠٢/١.

(٢) القَيْصوم: نبات من نبات السهل، إذا سحق مع الفلفل ولُتّا بزيت وطُلي البدن عند ابتداء النافض قطعها، وإذا جلس في ماء طبيخه فتت الحصى وأدرّ البول والحيض وأخرج المشيمة والجنين، وإذا خلط مع المر وضمد به حلل أورام الأرحام وجفف رطوبتها، وإذا طبخ مع دقيق الشعير حلل الأورام الصلبة، ورماده يذهب داء الثعلب ويسرع نبت اللحية العسيرة النبات. شمس العلوم ٥٥١٦/٨.

(٣) البابونج: نباتات عشبية من فصيلة المركبات يسْتَعْمل فِي الصباغة أَو التَّدَاوِي. المعجم الوسيط ٣٥/١.

(٤) الأقحوان: الْأُقْحُوَانُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْحَاءِ مِنْ نَبَاتِ الرَّبِيعِ لَهُ نَوْرٌ أَبْيَضُ لَا رَائِحَةَ لَهُ، يقوي المعدة، ويشهّي بالطعام، ويفتح السَّدَد ويدر البول، وإذا جُلس في ماء طبيخه نفع من أوجاع الرحم وأورامها، والأرواح الباطنة، ودهنه نافع كنفعه. ينظر: شمس العلوم ٥٣٨٤/٨، والمصباح المنير ٤٩١/٢ (ق ح و).

(٥) الإذخرُ: نبتٌ طيبُ الرائحةِ، يحلل الرياحَ والنفخَ، ويفتح السددَ، ويحلل أورامَ الكبدِ ويفتُّ الحصى ويُدِرُّ البولَ والطمْثَ، وماءُ طبيخِه إذا شُرب نافع في الاستسقاءِ، ووجعِ الرحم. وقُفَّاحُه وهو زهرهُ ينفع من نَفْثِ الدم ووجع الكُلَى والمعدة والكبد. شمس العلوم ٢٢٤٩/٤.

(٦) زاد المعاد ٤٣/٤.

(٧) السابق نفسه

وقال الرَّازي: «لبن اللِّقاح يشفي أوجاع الكبد، وفساد المزاج»، ووافقه الإسرائيلي، فعدَّه أرقَّ الألبان وأكثرها مائيةً وحدة وأقلَّها غذاءً، لذا كان أقواها على تلطيف الفضول وإطلاق البطن وتفتيح السُّدَد ويدلُ على ذلك ملوحته اليسيرة التي سببها فراط الحرارة الحيوانية(١).

ويوضِّح ابن سينا أنَّ ألبان اللِّقاح قد تُستعمل وحدها أو ممزوجةً بأدويةٍ أخرى تُضبط بها حرارتها أو تُلطفها أو تمنع الإفراط في الإسهال، وقد يخلط بها أبوال الإبل، بل قد يُقتصر عليها طعامًا وشرابًا لمدّةٍ محدودة بحسب الحاجة (٢).

على الصعيد الأصولي، قرَّر العز بن عبد السَّلام أنَّ التداوي بالمحرَّم جائزٌ عند تعيُّنه طريقًا وحيدًا للشفاء؛ قال: «يجوزُ التَّدَاوِي بِالنَّجَاسَاتِ إذَا لَمْ يَجِدْ طَاهِرًا يَقُومُ مَقَامَهَا؛ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ أَكْمَلُ مِنْ مَصْلَحَةِ اجْتِنَابِ النَّجَاسَةِ»(٣)، وبذلك يُوضَع التوجيه النبوي في موضعه الصحيح، مقرونًا بالضرورة ومنضبطًا بميزان العلم والتقوى.

وقد لمس العرب فوائد أبوال الإبل مباشرة؛ فاستعملوا بول الناقة البِكر كمطهّرٍ لغسل الجروح والقُروح ولنموّ الشعر ومعالجة القَرَع والحَزّاز (وهو وجعٌ في القلب من الغيظ ونحوه)(٤).

وفي العصر الحديث أجرت الدكتورة أحلام العوضي عام ١٩٨٨م تجربةً على بعض المرضى عالجتهم بأبوال الإبل؛ فحصلوا على تحسُّنٍ ملحوظٍ في أمراضٍ جلديّةٍ وجروحٍ مختلفة(٥).

---

(١) ينظر: زاد المعاد ٤٣/٤، والعلاج بأبوال وألبان الإبل بين العلم والخرافة صـ ٢٥.

(٢) ينظر: القانون في الطب ٥٤٤/٢.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٩٥/١.

(٤) العلاج بأبوال وألبان الإبل بين العلم والخرافة صـ ٢٦.

(٥) ملخص بحث «عجائب وأسرار العلاج بأبوال الإبل»، للدكتورة أحلام العوضي صـ ٥٠.

كما أفاد الدكتور محمد أوهاج: أنَّ بول الإبل ساعد في شفاء أمراض الجهاز الهضمي؛ إذ تحسَّنت خمسٌ وعشرون حالةَ استسقاءٍ، وشُفي اثنان منهم من آلام الكبد وعادت وظيفة الكبد إلى معدَّلها الطبيعي كما تحسَّن النسيج الكبديّ تحت المجهر(١).

وفي دراسةٍ للدكتور عبد العاطي كامل بعنوان: (ألبان الإبل أفضلُ غذاءٍ للمخ والجهاز العصبي والوقاية من السُّكَّر والكولسترول)، تبيَّن أنَّ لبن الإبل يحوي أعلى نسبة من سكر اللاكتوز تصل إلى (٥.١٨%)، فيبطؤ امتصاصه في الدم، فيُسهم في الوقاية من ارتفاع الجلوكوز ويحمي من السكر والكولسترول(٢).

وأثبت فريقٌ من كلية الزراعة بجامعة الفاتح في ليبيا أنّ حليب الإبل يحوي ثلاثةَ أمثال ما يحويه حليبُ البقر من فيتامين «هـ»، وأنَّ نسبة الكازين فيه تبلغ ٧٠٪ من مجموع البروتين، مع نسبة دهونٍ أقلّ وحبيباتٍ أصغر، ما يجعله أسهل هضمًا وامتصاصًا(٣).

ومن مزاياه امتلاكه مركَّباتٍ بروتينيّةً مانعةً للتخمّر والتسمّم والتجرثم، فيمنع تكاثر الأحياء الدقيقة لفترةٍ محدودة، لذلك يصعب تجبينه أحيانًا(٤).

يتبيَّن من مجموع هذه الدلائل أنَّ التوجيه النبوي للتداوي بألبان الإبل وأبوالها توجيه سياقي مخصوص مرتبط ببيئة المرضى وأعراضهم وضروراتهم، وقد جمع بين الخبرة والوحي وتضافرت عليه شهادات الأطباء والفقهاء قديمًا، وأكّدته دراسات حديثة بحاجة

---

(١) دراسة في المكونات الكيميائية وبعض الاستخدامات الطبية لبول الإبل العربية د/محمد أوهاج محمد، وتحليلات كيميائية مقارنة وتجارب سريرية لعلاج الاستسقاء بأبوال الإبل د/ محمد أوهاج محمد ـ بحث مقدم في المؤتمر السابع للهيئة العامة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

(٢) ينظر: التداوي بألبان الإبل وأبوالها لـ شهاب البدري ياسين صـ ٢٥، والتداوي بالسوائل بين الطب النبوي والطب الحديث صـ ٢٩٠.

(٣) التداوي بألبان الإبل وأبوالها صـ ٢٧.

(٤) المصدر السابق صـ ٣٦.

إلى مزيد من التوسّع المنهجي. ويُظهر هذا النموذج مرونة الشريعة في التفاعل مع الطب والواقع من غير تفريط في الضوابط، إذ تُجيز استعمال المحرّم عند الضرورة المقيَّدة بالعلم والتقوى، وتوازن بين المقاصد والوسائل بما يحقق العافية ويحفظ الأحكام.

***

٢. العَسَلُ[١].

جاءت الأحاديث النبوية في التداوي بالعسل على صورٍ متعددة، بعضها جاء على سبيل الإطلاق في بيان نفعه العلاجي، وبعضها ارتبط بحالات مرضية مخصوصة، ويجدر هنا عرض أبرز هذه الأحاديث، لا سيما ما ورد فيها ذكر العسل كدواء لا كمجرد غذاء:

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (ﷺ)، عَنِ النبيّ (ﷺ) قال: « الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نَارٍ، وأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ» رَفَعَ الحَدِيثَ وَرَوَاهُ القُمِّيُّ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ): «فِي العَسَلِ والحَجْمِ»[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: « الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ»[٣].

---

(١) العسل سائل معروف بفوائده الغذائية والعلاجية، استخدمه العرب قديمًا كغذاء ودواء، وذُكرت منافعُه في كتب الطب العربي، سواء منفردًا أو ممزوجًا بمواد أخرى. وقد أثبتت الدراسات فعاليته في علاج كثير من الأمراض، ويؤكد البروفيسور مولان أن جميع أنواع العسل تقتل الجراثيم وتمنع نموها، خاصة في الجروح.ينظر: القانون في الطب لابن سينا ٦١٩/١، والطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري ١٢٢/٧، كتاب: الطب، باب: الشفاء في ثلاث.

(٣) السابق نفسه ١٢٣/٧، وسنن ابن ماجه ١١٥٥/٢، كتاب: الطب، باب: الكي.

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (ﷺ)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (ﷺ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ، وَالْقُرْآنِ»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ (٣).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: إِنَّ أَخِي عَرِبَ بَطْنُهُ فَقَالَ لَهُ: «اسْقِهِ عَسَلًا» بِمَعْنَى حَدِيثِ شُعْبَةَ (٤).

المعنى اللغوي:

العسل يُستعمل في اللغة مذكرًا ومؤنثًا، ويُصغَّر (عُسَيْلة)، وله عدَّة جموع، منها: «عُسول»، و «أَعْسال»، و «عُسْلان»، و «عُسُل»، و «عُسْل»(٥).

وتعددت أسماؤه في اللغة حتى زادت على المائة، فمن أسمائه الأرى(٦)، ولعاب النحل، والشَّوب، والسَّلوَى، والذَّوْب(١)، والنَّسيل، والنسيلة، والطِرْم(٢) وغيرها كثير(٣).

---

(١) صحيح البخاري ١٢٣/٧، كتاب: الطب، باب: الدواء بالعسل.

(٢) سنن ابن ماجه ١١٤٢/٢، كتاب: الطب، باب: العسل، والسنن الكبرى للبيهقي ٥٧٩/٩، وقال: رَفْعُهُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ ، وَالصَّحِيحُ مَوْقُوفٌ ، وَرَوَاهُ وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ مَوْقُوفًا.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٨١/٧، كتاب: الطب، باب: الدواء بالعسل، والسنن الكبرى للبيهقي ٥٧٨/٩، جماع أبواب كسب الحجام: ، باب: أدوية النبي (ﷺ).

(٤) صحيح مسلم ١٧٣٧/٤، كتاب: السلام، باب: التداوي بسقي العسل.

(٥) القاموس المحيط ١٠٣١/١، ونَحْلُ عِبَر النَّحلِ للمقريزي صـ ٣٤.

(٦) الأَرْيُ (العَسَلُ)،الأَرْيُ: عَمَلُ النَّحْلِ، وَهُوَ أَيضاً: مَا التَزَقَ مِنَ الْعَسَلِ فِي جَوَانِبِ العَسَّالة. لسان العرب ٢٨/١٤ (أ ر ي)، وتاج العروس ٦٣/٣٧ (أ ر ى).

وقد ذهب بعض الحكماء القدماء إلى أن العسل عبارة عن ندى لطيف، أو طلٍّ خفيٍّ يقع على الزهور، وغيرها من النباتات، فتلتقطه النحل وتجمعه(٤).

وبهذا المعنى وافقهم المفسر الكواشي(٥)، فقال في تفسيره: «إنَّ العسلَ ينزل من السماء فينبت في أماكن، فتأتي النحل فتشربه، ثم تأتي الخلية فتلقيه في الشمع المهيأ للعسل ـ في الخلية ـ لا كما يتوهم بعض الناس أنَّ العسلَ من فضلات الغذاء، وأنه قد استحال في المعدة عسلاً»(٦).

التحليل السياقي:

يفهم من الأحاديث النبوية الواردة في العسل أن ذكره لم يأتِ عرضًا ولا على سبيل المدح المجرد، وإنّما ورد في سياقٍ نبويٍّ متكاملٍ، يجمعُ بين التوجيه العلاجي، والتجربة الواقعية، والتقويم الشرعي، مما يُضفي عليه دلالة خاصة تجعله في مقدمة الوسائل العلاجية التي أرشد إليها النبي (ﷺ).

ففي حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: «الشفاء في ثلاثة: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نَارٍ، وأنا أنهى أمتي عن الكي»، يَظهر أن العسل وُضع في سياقٍ علاجي يضم وسائل ثلاثًا مرتبة بحسب شدَّتها ومدى تدخلها؛ فالعسل دواء داخلي غير

---

(١) الذَّوْبُ: العَسَل عامَّة؛ وَقِيلَ: هُوَ مَا فِي أَبياتِ النَّحْل مِنَ العَسَلِ خاصَّة؛ وَقِيلَ: هُوَ العَسَل الَّذِي خُلِّص مِنْ شَمْعِه ومُومِه، وذابَ إذا قام على أَكْلِ الذَّوْبِ، وَهُوَ العَسَل. لسان العرب ٣٩٦/١ (ذ و ب).

(٢) الطِّرْمُ: العَسَلُ عَامَّةً، وقيل: الطِّرْمُ، والطَّرْمُ، والطِّرْيَمُ: العَسَلُ إذا امتَلأتِ البُيُوتُ خاصَّة، والطِّرْمُ: الشُّهْدُ، وقِيلَ: الزُّبْد. المحكم ١٦٢/٩ (ط ر م).

(٣) نَحْلُ عِبَر النَّحلِ للمقريزي صـ ٣٤.

(٤) السابق صـ ٣٩.

(٥) موفّق الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسن بن سودان الكواشيّ الشيبانيّ نزيل الموصل ـ المقرئ المفسّر، توفّي في جمادى الآخرة سنة ثمانين وستّمائة ودفن بباب الجامع قريبا من زاويته. مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ٥٩٣/٦.

(٦) نَحْلُ عِبَر النَّحلِ للمقريزي صـ ٤٠.

مؤذٍ، والحجامة عمل خارجي بسيط، والكي إجراءٌ عنيفٌ لا يُلجأ إليه إلا عند الضرورة، وقد نهى عنه النبي (ﷺ) رغم اعترافه بفاعليته، ممَّا يدلُّ على أن العسل هو الخيار الأقرب إلى الفطرة، والأكثر ملاءمةً من جهة السلامة والفاعلية.

وقد أشار العلماء إلى هذا الترتيب، فقال النووي: «دل الحديث على أن هذه الثلاثة مما جُرِّب نفعها، وأنها تفيد بحسب استعداد المريض وقوة علته»، وقال العلقمي: «ولمْ يُرِدِ النَّبِيَّ (ﷺ) الحَصْرَ في الثلاثةِ، فإنَّ الشِّفاءَ قَدْ يَكونُ في غَيْرِها، وإنَّما نَبَّهَ بها على أُصُولِ العِلاجِ، وذَكرَ (شربة العسل) لأنَّها تُسَهِّل الأخلاطِ البَلْغَمِيَّةِ»[(١)].

وتبرز هذه الدلالة بشكل أقوى في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه)، عن الرجل الذي جاء يشكو للنبي (ﷺ) أن أخاه يشتكي بطنه، فقال له النبي (ﷺ): «اسقه عسلًا»، ثم أتاه الثانية والثالثة، وفي كل مرة يكرر الأمر، حتى قال له في المرة الرابعة: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلًا»، ففعل فبرأ.

هنا يظهر السياق التطبيقي الواقعي في توجيه النبي (ﷺ) نحو استعمال العسل، حيث لم يكتفِ بإعطاء أمرٍ وحيدٍ، بل كرَّرهُ مراتٍ، مع بيان أن العسل دواء صادق النفع، وإن تأخر أثره بسبب طبيعة المرض أو استعداد البدن.

يقول ابن القيم: «في تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء لا بُدَّ أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصَّرَ عنه لم يزله بالكلية، وإن جاوزه أوهى القوى، فأحدث ضررًا آخر... فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء، برأ بإذن الله»[(٢)].

ويقول الباجي: «معناهُ أنَّهُ عَلِمَ أَنَّ شِفَاءهُ في شُرْبِ العَسَلِ فكَانَ علَيْهِ أَنْ يُكَرِّرَ ذَلِكَ حَتَّى يَبْرَأَ فإن النبي (ﷺ) لَمْ يُحدد عدد الشربات»[(٣)].

---

(١) زاد المعاد ٣١/٤.

(٢) السراج المنير شرح الجامع الصغير ٢٤٨/٣.

(٣) المنتقى شرح الموطإ ٢٦٢/٧.

ويضيف ابن حجر في تفسيره لقول الرسول (ﷺ): (صدق الله وكذب بطن أخيك) أنَّ أهلَ الحجازِ يُطلِقُونَ الكذبَ في موضعِ الخطأِ، فيقال: كذبَ سَمعُكَ، أي أخطأ في الإدْرَاكِ، فالمعنى: أنَّ بطنهُ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِقَبُولِ الشِّفَاءِ، بلْ زَلَّ عنهُ. وقد اعترضَ بعضُ الملاحدَةِ قائلاً: إنَّ العَسَلَ مُسَهِّلٌ، فَكَيفَ يُوصَفُ لمنْ وقعَ بهِ الإسهالُ؟ والجوابُ كما قال ابن حجر: أنَّ ذلكَ جهلٌ من قائلهِ، بلْ هو كقولهِ تعالى:﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ (١)(٢).

ثُمَّ فصَّل ابن القيم القول في ذلك، فقال: «فيه إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة»(٣).

ويُعقِّب الزرقاني في شرح المواهب اللدنية: إن معنى قوله (ﷺ) «صدق الله وكذب بطن أخيك» أن بطن أخيك أخطأ، حيث لم يصلح لقبول الشفاء بسرعة، لكثرة المادة الفاسدة فيه، فلذلك أمره (ﷺ) بإعادة شرب العسل للاستفراغ، فلما كرر ذلك برئ(٤).

وتتأكد هذه الدلالة حين ننظر في حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)، حيث قال النبي (ﷺ): «إن كان في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لدغة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي»، فهذا السياق يضيف بعدًا تقويميًا ترتيبيًا، يُظهر أن النبي (ﷺ) يُقرّ بنفع الثلاثة، ولكنه يفضّل العسل، لما فيه من توافق مع الطبائع وعدم إيذاء، قال العيني: « إِنَّمَا هِيَ شِفَاء لبَعض الأَمْرَاض دون بعض، أَلا ترى قَوله: أَو لذعة بِنَار، توَافق الدَّاء؟ فَشرط (ﷺ) موافقتها للداء، فَدلَّ هَذَا على أَنَّهَا إِذا لم توَافق الدَّاء فَلَا

(١) سورة يونس جزء آية (٣٩) .

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/١٦٩، ١٧٠.

(٣) زاد المعاد ٤/٣٣.

(٤) ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٩/٤٩٠، والتداوي بعسل النحل لـ عبد المنعم قنديل صـ ٣٩.

دَوَاء فِيهَا، فقد جاء في القرآن ما لفظه لفظ العموم والمراد به الخصوص، كقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [١] يُرِيد المُؤمنِينَ»[٢]، وأضاف ابن القيم: «العسل غذاء كامل فيه منافع علاجية مجربة، وهو نافع لأكثر أمراض الباطن، بخلاف الكي فإنه لا يُلجأ إليه إلا اضطرارًا»[٣]، وهذا كلّه يبرز أن السياق النبوي لا يعرض العسل مجرد عرض، بل يُفضّله ويقدّمه في سلم العلاج.

ويبلغ هذا التصور ذروته في الحديث الذي رواه ابن مسعود (ﷺ): «*عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن*»، إذ يبرز البعد الروحي في التداوي، فيُقترن العسل بالقرآن، لا في مرتبة الإعجاز، بل في وظيفة الشفاء، فيداوي العسل الجسد، ويُعالج القرآن الروح والنفس، قال الصنعاني: «جمع بين الطب البشري والإلهي، وبين الفاعل الطبيعي والروحاني، وطب الأجساد وطب الأرواح، والسبب الأرضي والسماوي»[٤]، مما يعمّق الدلالة بأن العسل ليس مجرد مادة طبيعية، بل دواء مبارك له أصل في الوحي.

وهذا الأصل يتجلى في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [٥]،حيث نصَّ القرآن على أنَّ في العسل شفاءً، قال الطبري: «في هذه الآية دليل على أن العسل دواء نافع، وشفاؤه ثابت بالوحي، وليس مجرد اجتهاد بشري»[٦]، وقال

---

(١) سورة الذاريات آية (٥٦).

(٢) عمدة القاري ٢٣٢/٢١، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٣٤٧/٢٧.

(٣) زاد المعاد ٣١/٤.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير ٢٩٨/٧.

(٥) سورة: النحل جزء آية (٦٩).

(٦) ينظر: تفسير الطبري ٢٥٠/١٧.

الرازي: « الشفاء فيه بحسب الاستعداد وطبيعة المرض والإنسان، فلا ينافي اختلاف الأثر من شخص لآخر»(١).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتداوون بالعسل، ويوصون به، إذ عرفوا من كتاب الله (ﷻ) أنه شفاء، ومن السنة أنه من أصول التداوي النبوي(٢).

وقد أكَّدت الأبحاث العلمية الحديثة فوائد العسل في عدد من المجالات.

ومن أبرزها تلك التي قام بها البروفيسور بيتر مولان (*peter Molan*) في جامعة وايكاتو بنيوزيلندا، حيث قضى هو وفريقه أكثر من عشرين عامًا في دراسة العسل، وخرجوا بعشرات الأبحاث العلمية التي نشرت في أشهر المجلات الطبية في العالم، وأثبتت فاعليته في علاج الجروح، والقروح، وأمراض المعدة، والربو، وغير ذلك(٣).

وفي دراسة نشرتها مجلة (*pharmacological. Research*) عام ٢٠٠١م. أثبت الباحثون أن العسل يمكن أن يساعد في علاج التهاب المعدة، فقد أعطيت مجموعة من الفئران الكحول لإحداث تخريشات وأذيات في المعدة ثم أعطيت مجموعة أخرى العسل قبل إعطائها الكحول، فتبين أن العسل استطاع أن يمنع حدوث الأذيات المعدية الناجمة عن الكحول(٤).

وأشار الدكتور رشيد يزبك من لبنان إلى فوائد حبوب اللقاح المنقولة بالنحل، في تقوية الجهاز العصبي، ودعم النمو، وتأثيرها المشابه للمضادات الحيوية(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ٢٣٨/٣٠.

(٢) ينظر: التداوي بعسل النحل صـ ٣٩.

(٣) الطب النبوي بين العلم والإعجاز صـ ١٠٤.

(٤) العلاج بالعسل د. محمد السقا عيد صـ٤٠.

(٥) التداوي بالعسل سلسلة من روافد الطب البديل (٦) صـ ١١١.

كما أكَّد الدكتور محمد سعيد خنبش من جامعة عدن اليمنية أن الأبحاث المحلية أثبتت فاعلية عسل النحل في علاج أمراض الكبد، والضعف العام، والجهاز الهضمي والبول السكري(١).

وتبلغ المفاجأة ذروتها في ما نشرته مجلة «منار الإسلام» (ربيع الآخر ١٤٠٦هـ، العدد الرابع) عن حالة سيدة مريضة بالسكري، فشلت المضادات الحيوية في علاج جرحها خلال ستة أسابيع، فلجأ الأطباء إلى وضع العسل موضعيًا، فكانت النتيجة مدهشة، حيث اختفت مستعمرات البكتيريا، وتجدد النسيج الحي، مما أنقذ ساقها من البتر(٢).

وهذه الشواهد المعاصرة تُثبت ما قررته السنة النبوية قبل قرون، وتدل على تكامل الرؤية الشرعية والعلمية في بيان القيمة العلاجية للعسل، وعليه فإن العسل في الطب النبوي لا يُعدُّ مجرد غذاء، بل نموذجًا علاجيًا متكاملاً، يجمع بين النص الشرعي، والتجربة الواقعية، والتوجيه الوقائي، والعلاج الفطري، وهو ما يُظهر أثر السياق في وضعه ضمن طليعة الطب النبوي، بما لا يترك مجالًا للشك في نفعه، بشرط التوافق مع الداء، والاستعمال الصحيح، واستعداد الجسم لقبوله.

***

(١) التداوي بالعسل سلسلة من روافد الطب البديل (٦) صـ١١٢.

(٢) العلاج بالعسل صـ ٢٥.

المبحث الثالث

أثـــر السياق في دلالة الألفاظ الطبية المعدنية

تمثّل الألفاظ الطبية ذات الطابع المعدني جانبًا خاصًّا في المادة العلاجية الواردة في السنة النبوية، حيث وردت الإشارة إلى مواد كالإثمد والملح والحجر، وغيرها من العناصر التي ترتبط في استعمالها بالتداوي أو الوقاية. وتختلف دلالة هذه الألفاظ باختلاف السياقات التي وردت فيها؛ إذ لا يقتصر فهمها على معناها المعجمي، بل يتطلّب النظر في السياق النبوي الذي أحاط بها، من حيث المناسبة، والمخاطَب، والغرض، وموقعها ضمن النص. ومن خلال هذا المنهج السياقي، يُمكن الوقوف على البُعد العلاجي المقصود، والتفريق بين التوصيف الطبّي، والتجربة النبوية، والتوجيه الإرشادي.

١. الإِثْمِـــــدُ[١].

ورد ذكر الإثمد في السنة النبوية في سياقٍ طبي وتوجيهي، يدلُّ على عناية النبي (ﷺ) بأسباب الوقاية والعلاج، ومن هذه الأحاديث:

ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما)،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «خَيْرُ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدُ، يَجْلُو الْبَصَرَ[٢]، وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ[٣]»[١].

---

(١) لإثمدُ: حجر كحلٍ أسود، وأجوده ما يُؤتى به من أصفهان، سريع التفتيت، لامعٌ نقيٌّ أملس. يُقوّي العين، يشد أعصابها، يحفظ صحتها، ويُعالج القروح بإزالة اللحم الزائد وإدمالها. ينظر: الطب النبوي لابن القيم صـ ٢١٨.

(٢) يجلو البصر: مِنَ الْجَلَاءِ أَيْ يُحَسِّنُ النَّظَرَ وَيَزِيدُ نُورَ الْعَيْنِ بِدَفْعِهِ الْمَوَادَّ الرَّدِيئَةَ الْمُنْحَدِرَةَ مِنَ الرَّأْسِ. عون المعبود ٧٥/١١.

(٣) ينبت الشعر: أي: شعر الأهداب الذي ينبت على أشفار العين. الميسر للتوربشتي ٩٩٦/٣.

وعنه أيضًا أنه قال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «إِنَّ خَيْرَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ اللَّدُودُ[٢] وَالسَّعُوطُ[٣] وَالحِجَامَةُ وَالمَشِيُّ[٤]، وَخَيْرُ مَا اكْتَحَلْتُمْ بِهِ الإِثْمِدُ، فَإِنَّهُ يَجْلُو البَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ»[٥].

وعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ عِنْدَ النَّوْمِ، فَإِنَّهُ يَشُدُّ الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ»[٦].

وعن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ، فَإِنَّهُ مَنْبَتَةٌ لِلشَّعْرِ، مَذْهَبَةٌ لِلْقَذَى[٧]، مَصْفَاةٌ لِلْبَصَرِ»[٨].

المعنى اللغـــوي:

يتَّضح من أقوال أهل اللغة والطب أن «الإثمد» كان معروفًا منذ القدم باعتباره حجرًا يُستعمل في الكُحل، وقد اجتمعت حوله تعاريف لغوية وطبية متقاربة في دلالتها. فقد عرَّفه الجوهـــري بقوله: «الإثمدُ: حجر يكتحل به»[٩]، وهو تعريف موجز يُركِّز على الوظيفة والاستخدام.

---

(١) سنن ابن ماجه ١١٥٧/٢، كتاب: الطب، باب: الكحل بالإثمد، وسنن ابن ماجه ١٤٩/٨، كتاب: الزينة، باب: الكحل، وصححه الألباني في سنن أبي داود ٥١/٤.

(٢) اللَّدُود: ما يلقي الإنسانُ في أحد شقَّي الفم للمداواة. المفاتيح في شرح المصابيح ٥٧/٥.

(٣) السَّعُوطُ بفتح السين: دواء يصب في الأنف. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح للدهلوي ٤٤١/٧.

(٤) المَشِيُّ: بكسر الشين وتشديد الياء، ويجوز فتح الميم وضمُّها وكسرها: وهو ما يُشرَب أو يُؤكَل لإطلاق البطن أو إسهاله. المفاتيح في شرح المصابيح ٥٧/٥.

(٥) سنن الترمذي ٣٨٨/٤، أبواب: الزينة، باب: ما جاء في السعوط وغيره، ضعفه الألباني إلا فقرة الإثمد فصحيحة.

(٦) سنن ابن ماجه ١١٥٦/٢، كتاب: الطب، باب: الكحل بالإثمد.

(٧) مذهبَة للقذى: جمع قذاة مَا يَقع فِي العين من نَحْو تُرَاب أَو تبن. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ١٣٩/٢.

(٨) المعجم الكبير للطبراني ١٠٩/١.

(٩) الصحاح ٤٥١/٢ (ث م د).

أما الفيومي فقد وسَّع المعنى بقوله: «الإِثْمِدُ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ والمِيمِ الكُحْلُ الْأَسْوَدُ، ويُقَالُ: إِنَّهُ مُعَرَّبٌ»[1]، وهو ما يشير إلى أصل محتمل غير عربي للكلمة.

ويُضيف « قَالَ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي المِنْهَاجِ: هُوَ الكُحْلُ الأَصْفَهَانِيُّ»[2].

ويؤكد هذا المعنى ما ذكره السَّيرافيُّ من أن: «الإِثْمِدُ شَبِيهٌ بحجَرِ الكُحْلِ»[3]، وهو وصف يبرز الجانب الفيزيائي من المادة قبل استخدامها.

وتورد المعاجم اللغوية المعاصرة توصيفًا علميًّا للإثمد، كما جاء في المعجم الوسيط: «الإثمد: عنصر معدني بلوري الشكل، قصديري اللَّوْن، صلب هش، يُوجد فِي حَالَة نقية وغالبًا متحدًا مَعَ غَيره من العناصر، يُكتحل بِهِ»[4]، وهو وصف يجمع بين المعلومة المعدنية الدقيقة وبين الاستخدام التقليدي.

أمَّا من جهة الطب القديم، فقد ذكر موفق الدين عبد اللطيف البغدادي أن الإثمد هو: «الكحل الأصبهاني، مزاجه بارد يابس، يقوّي عَصَبَ العين ويحفظ صحتها»[5]، وهو قول يبيّن أثره العلاجي في تقوية البصر وحماية العين.

ويفصِّل أرسطو في بيانه قائلاً: هو حجر معروف، له معادن كثيرة، وأكثرها في نواحي المشرق، وأجودها الأصفهاني. وهو حجر يخالطه الرصاص، ينفع العين اكتحالاً، ويزيل عنها غشاء الماء، ويقوي أعصابها، ويدفع عنها كثيرًا من الآفات والأوجاع، خاصةً عند كبار السن الذين ضعفت أبصارهم، وإذا خُلط بشيء من المسك كان بالغ التأثير[6].

---

(١) المحكم ٨٤/١ (ث م د).

(٢) السابق نفسه.

(٣) تاج العروس ٤٦٨/٧ (ث م د).

(٤) المعجم الوسيط ١٠٠/١.

(٥) الطب من الكتاب والسنة صـ ٦١.

(٦) ينظر: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات صـ ١٧٨. بتصرف.

وبذلك تتلاقى الروايات اللُّغوية والبيانات الطبية القديمة على إبراز الإثمد مادةً طبيعية ذات طبيعة معدنية دقيقة، واستخدام علاجي متوارث، لا سيما في ما يتعلق بصحة العين، مما يفسّر حضوره في التوصيات النبوية ضمن الطب الوقائي والعلاجي.

التحليل السياقي:

يتضح من مجموع الأحاديث النبوية أن ورود «الإثمد» لم يكن عرضًا ولا توصية تجميلية مجردة، بل جاء محمولًا على دلالة علاجية ووقائية مؤكَّدة، يبرزها التأمل في السياق اللغوي والروائي والطبي عند التأمل. فقول النبي (ﷺ): «*خيرُ أكحالكم الإثمد*» جاء بصيغة التفضيل، وهي تدل – كما يقرره البلاغيون – على أولوية هذا النوع من الكحل دون غيره من حيث النفع لا الزينة، ويزيد النَّص تأكيدًا بقوله (ﷺ): «*عليكم بالإثمد*»، وهو أمر يحمل دلالة الالتزام والعناية، ويجعل من استعماله توجيهًا نبويًّا صريحًا. ويتبع ذلك وصفٌ مباشرٌ للفائدة بقوله: «*فإنه يجلو البصر وينبت الشعر*»، وهو ما يُضفي على الخصيصة العلاجية طابعًا جوهريًا في تعريف المادة في السياق النبوي، لا مجرد وصفٍ عرضي.

وقد علَّق ابن حجر العسقلاني على هذا الحديث بقوله: «الإثمد حجر أسود يميل إلى الحمرة، وأجوده الأصفهاني، وهو يقوِّي البصر بإزالة الغبش، وينبت هدب العين»[(١)]، وبيَّن التوربشتي أن المقصود بالشَّعر في الحديث: رموش العين التي لها وظيفة وقائية حساسة[(٢)].

وفسَّر العيني هذا التوجيه بأنه لا يقتصر على التزيُّن، بل يتضمَّن تقوية أعصاب العين وحمايتها من الرطوبات، لا سيما إذا استُعمل على هيئة الاكتحال الوترية التي وردت في بعض الروايات[(٣)].

---

(١) فتح الباري ١٠/١٥٨.

(٢) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة ٣/٩٩٦.

(٣) ينظر: عمدة القاري ٢١/٢٤٦.

أما ابن القيم فقد توسع في ذكر فوائد الإثمد، معتبرًا إيَّاه أجود أكحال العين، فقال: «ينفعُ العين ويُقويها، ويشد أعصابَها، ويحفظ صحتها، ويُذهب اللَّحم الزائد في القروح ويُدملها، ويُنَقِّي أوساخها ويجلوها، ويذهب الصداع إذا اكتُحِل به مع العسل المائي الرقيق، وهو أجود أكحال العين، ويبلغ غاية التأثير إذا خُلط بالمسك»(١)، مبينًا أن الأثر المنصوص عليه في الحديث يتطابق مع التجربة الطبية.

وعند النظر في السياق البيئي والطبِّي، تتضح وجاهة التوجيه النبوي، خاصة في البيئة الصحراوية التي تعاني فيها العين من الجفاف والغبار وشدَّة الإضاءة. وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن الإثمد جوهرٌ حجريٌّ رصاصيٌّ، والجزء الرصاصيُّ منه كالمحترق لكثرة كبريَّته، يتمتع بخصائص مضادة للالتهاب والميكروبات، تؤهله للاستعمال العيني الآمن، ولذلك يُعدُّ من الأدوية الصِّرفة، بخلاف أنواع «الكحل التجاري» المنتشرة التي تحتوي على نسب عالية من الرصاص السَّام، مما يُشكل خطرًا حقيقيًّا على صحة العين، ويؤكِّد دقة الإشارة النبوية إلى «خيرية» الإثمد دون غيره. يقول ابن النَّفيس: «الإثمد فيه جلاءٌ، وتحليلٌ، وتنقيةٌ، وتجفيفٌ قوى، وتغرية، مع أنه غير شديد البرد، ولا له كيفيةً حادة أو لذَّاعة، فلذلك، هو شديدُ الموافقة للعين وأجزائها، فلذلك، هو حافظٌ لصحتها، منقٍّ لفضولها»(٢).

وقد أكَّد الدكتور حسن هويدي، أن جلاء البصر بالإثمد إنَّما يكون بتأثيره على زُمر جرثومية متعددة، وبذلك يحفظ العين وصحتها، لأن أغلب آفات العين التهابية جرثومية، وعندما تسلم الملتحمة من الاحتقان يكون البصر سليمًا، كما أشار إلى أن إنباته للشعر ثابت علميًا، إذ إنَّ من خصائصه الدوائية تنبيه جذور الشعرة والمساهمة في نموها، ولذا تُستخدم مركباته ـ كطرطرات الإثمد والبوتاسيوم ـ في معالجة بعض حالات السعفة

(١) زاد المعاد ٤/٢٦٠.

(٢) الشامل في الصناعة الطبية لابن النفيس ١/١٨١.

والصلع، وتُطبَّق على شكل مرهم بنسبة ٢ ـ ٣ %. وهذه الفائدة في إنبات الشعر تنفع العين أيضًا، لأنها تُسهم في نمو الأهداب التي تحمي العين وتزيد من جمالها(١).

وبذلك تتكامل الأبعاد السياقية جميعًا – اللغوية والروائية والطبيعية – في بيان دلالة «الإثمد» في السنة، بوصفه مادة معدنية نقية، ذات خصائص علاجية موثوقة، موجَّهًا إليها بالاختيار، وصادرة عن خبرة نبوية دقيقة، وشروح علمية قديمة وحديثة تؤكد قيمتها الطبية.

***

٢. الماءُ(٢).

ورد العلاج بالماء في السنة النبوية في سياقاتٍ متعددة، تُبرز عناية النبي (ﷺ) بتوجيه أمته إلى الوسائل الطبيعية النافعة في التداوي والتخفيف من الأمراض، وقد استُعمل الماء في معالجة الحُمَّى، والتبريد، وتطهير الجروح، بل عُدَّ من أسباب الشِّفاءِ إذا استخدم بطريقة مخصوصة. وتدلُّ هذه التوجيهات النبوية على أن استخدام الماء في العلاج لم يكن تصرفًا عارضًا، بل نابعًا من إدراك دقيق لطبائع الأمراض وأساليب التخفيف منها، مع الاستفادة من خصائص الماء التبريدية والتطهيرية.

ومن ذلك ما روي عن رافع بن خديج أن رسول الله (ﷺ) قال: «إِنَّ الْحُمَّى فَوْرٌ مِنْ جَهَنَّمَ، فَأَبْرُدُوهَا بِالمَاءِ»(١).

---

(١) الإعجاز العلمي في الطب النبوي، الإثمد يجلو البصر وينبت الشعر . https://www.alraimedia.com/article/668764

(٢) الماء: مادةُ الحياة، وسيد الشراب، وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصليُّ: فإن السماوات خُلقتْ من بخاره، والأرضَ من زَبَده. وقد جعل الله منه كل شيء حيّ. الطب النبوي لابن القيم صـ ٣٠٢.

وروي عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ المُنْذِرِ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنهما): كَانَتْ إِذَا أُتِيَتْ بِالمَرْأَةِ قَدْ حُمَّتْ تَدْعُو لَهَا، أَخَذَتِ المَاءَ، فَصَبَّتْهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَيْبِهَا، قَالَتْ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَأْمُرُنَا أَنْ نَبْرُدَهَا بِالمَاءِ»(٢).

وفي حديث أَنَسٍ (رضي الله عنه)، قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيُشِنَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ مِنَ السَّحَرِ ثَلَاثًا»(٣).

كما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قال: « إِنَّ الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَطْفِؤُهَا عَنْكُمْ بِمَاءِ زَمزِمِ»(٤).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما)، قال: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: « مَاءُ زَمْزَمَ، لِمَا شُرِبَ لَهُ»(٥).

→→→

(١) صحيح مسلم ١٧٣٣/٤، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي، وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري ١٢٩/٧، كتاب: الطب، باب: الحمى من فيح جهنم، والسنن الكبرى للنسائي ٩٨/٧، كتاب: الطب، باب: تبريد الحمى بالماء.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٩٩/٧، كتاب: الطب، باب: ذكر وقت تبريد الحمى بالماء. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَإِنَّمَا اتَّفَقَا عَلَى الْأَسَانِيدِ فِي أَنَّ الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ. المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٢٣/٤.

(٤) صحيح البخاري ١٢٠/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، وأنها مخلوقة.

(٥) سنن ابن ماجه ١٠١٨/٢، كتاب: المناسك، باب: الشرب من ماء زمزم. وقال السيوطي في حاشية الكتاب هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيرًا. واختلف الحفاظ فيه. فمنهم من صححه ومنهم من حسنه ومنهم من ضعفه. والمعتمد الأول، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق ابن عباس. وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وصححه الألباني.

المعنى اللغوي:

يقول ابن فارس: الميم والواو والهاء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُّ على سيلان شيء ورقته، ومنه «المَوَهُ»، وهو أصل بناء كلمة الماء، وتصغيره «مُوَيَّه»، وقالوا: هذا دليل على أن الهمزة في «الماء» بدلٌ من هاء، فهي مبدلة عن أصل، ومن الاشتقاقات الدالة على هذا الأصل ما جاء في قولهم: موهت الشيء، أي سقيته الماء، وموهت الشيء أيضًا: طليته بفضة أو ذهب، كأنهم شبَّهوا ذلك بالإرواء والإنعاش؛ لما فيه من لمعان وجمال. ومنه قولهم: ما أحسن موهة وجهه، أي ترقرق ماء الشباب فيه...، ورجل ماه القلب، أي كثير ماء القلب(١).

وعرفه المناوي بقوله: «الماء: جوهرٌ سيَّال يضادّ النار برطوبته وبرودته. وقيل: الماء جسم لطيف بسيط شفاف، يُبرد غُلَّة العطش، به حياة كل نامٍ»(٢).

ويُعرَّف الماء أيضًا بأنه: «سَائلٌ عَلَيْهِ عماد الحَيَاة فِي الأَرْض، يتركَّبُ من اتِّحَاد غازي الهيدروجين والأكسجين بِنِسْبَة حجمين من الأول إِلَى حجم من الثَّانِي، وَهُوَ فِي نقائه شفاف لَا لون لَهُ وَلَا طعم وَلَا رَائِحَة وَمِنْه: العذب، والمالح، والمعدني، والمقطر»(٣).

وتظهر في هذه التعريفات عناصر جوهرية: السيولة، الشفافية، الرطوبة، ودوره الحيوي في حفظ الحياة وإنعاش الطبيعة، مما يجعله في عرف العقلاء عنصرًا لا يُستغنى عنه.

---

(١) مقاييس اللغة (م و هـ) ٢٨٦/٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف صـ ٢٩٤.

(٣) المعجم الوسيط ٨٩٢/٢.

جاء ذكر الماء في القرآن الكريم في مواضع متعددة، أبرزها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (١)، وقد فسر الجلالين الآية بقوله: «أي الماء النَّازِل منَ السَّماءِ والنَّابِعِ مِنَ الأَرضِ جَعَلنَّا منهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ مِنْ نَبَات وَغَيْره، أَيْ أن المَاء سَبَب حَيَاتِهِ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ بِتَوْحِيدِي»(٢).

فالماء في المفهوم القرآني ليس مجرد مادة فيزيائية، بل هو سر الحياة، وأصل الخلق، وآية من آيات الله.

ولأن الماء هو سر من أسرار الحياة وأصل من أصولها لا يمكن لها أن توجد بدونه، لهذا شاء الله الخالق العظيم وقدر فجعل الأرض من أغنى الكواكب المعروفة لنا ثراءً بالماء، فهو يغطي حوالي ٧١% من مساحة سطح الأرض بينما تشغل مساحة اليابس ٢٩% فقط من تلك المساحة(٣).

يتبيّن مما سبق أن كلمة «الماء» تحمل دلالاتٍ مركبة، تجمع بين الجذر اللغوي الدال على السيلان واللين، والمفاهيم المجازية كالرقة والجمال، والتعريفات الاصطلاحية العلمية التي توضح طبيعته الفيزيائية، بالإضافة إلى مكانته الوجودية في القرآن الكريم بوصفه أصل الحياة. وهو بذلك ليس مجرد عنصر فيزيائي، بل معجزة ربانية تجلَّت فيها القدرة الإلهية، وارتبطت بها معاني الخلق، والنماء، والطهارة، والإحياء.

التحليل السياقي:

تبيّن الأحاديث النبوية أن استخدام الماء في التداوي جاء مقصودًا ومراعيًا لخواصه العلاجية، ضمن توجيه نبوي دقيق لطبيعة الأمراض. وقد استُخدم الماء بطرق وأوقات

---

(١) سورة الأنبياء جزء آية (٣٠).

(٢) تفسير الجلالين لـ جلال الدين المحلي صـ ٤٢٣.

(٣) الطب البديل، العلاج بالماء قديمًا وحديثًا لـ ماهر حسن محمود محمد صـ ٧.

محددة، وأحيانًا من مصادر مخصوصة كماء زمزم، مما يضفي عليه طابعًا يجمع بين الفائدة الطبية والروحانية.

ومن أبرز صور ورود الماء في التوجيه العلاجي النبوي، حديث رافع بن خديج، عن النَّبي (ﷺ) أنَّهُ قال: «إنَّ الحُمَّى فورٌ من جهنم، فأبردوها بالماءِ»، حيث يرد الماء بوصفه أداة مواجهة مباشرة لحرارة الحمى، إذ شبَّهها النبي (ﷺ) بحرارة جهنم، مما يبرز شدة هذا المرض، ويجعل من الماء البارد علاجًا نوعيًّا له. وقد قال ابن حجر: «اختلف في نسبة الحمى إلى جهنم، فقيل: على الحقيقة، واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم...، وقيل: بل ورد مورد التشبيه، والمعنى: أن حر الحمى شبيه بحرِّ جهنم، تنبيهًا للنفوس على شدة حرِّ النار»[(١)].

وقد أُشكِلَ هذا الحديث على بعض الأطباء، إذ اعتبروا أن اغتسال المحموم بالماء خطرٌ على حياته، وقد أجاب ابن القيم عن هذا الإشكال بقوله: «خطابه (ﷺ) في هذا الحديث خاص بأهل الحجاز وما والاهم إذ كانت أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالاً... وهي تنقسم إلى قسمين: عرضية: وهي الحادثة إما عن الورم، أو الحركة، أو إصابة حرارة الشمس، أو القيظ الشديد ونحو ذلك، ومرضية... فيجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد وسقي الماء البارد المثلوج... يجوز أن يراد به جميع أنواع الحميات»[(٢)].

وأكَّد المباركفوري هذا المعنى بقوله: «لَيسَ في الحديثِ الصَّحِيحِ بَيَانُ الكَيْفِيَّةِ فَضْلًا عن اختِصَاصِهَا بِالغُسْلِ وإنَّمَا في الحَدِيثِ الإرْشَادُ إلى تَبْرِيدِ الحُمَّى بِالمَاءِ... وأَولَى ما

(١) فتح الباري ١٠/١٧٥.

(٢) زاد المعاد ٤/٢٤ ـ ٢٥.

يُحْمَلُ عَلَيهِ كَيْفِيَّةُ تَبْرِيدِ الحُمَّى مَا صَنَعَتْهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَرُشُّ عَلَى بَدَنِ المَحْمُومِ شَيْئًا مِنَ المَاءِ بَينَ يَدَيْهِ وَثَوْبِهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ النَّشْرَةِ الْمَأْذُونِ فِيهَا»[1].

ويتعزز هذا المعنى من خلال ما روته فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها)، أنها كانت تصب الماء بين المرأة المريضة وجيبها وتقول: «*كان رسول الله (ﷺ) يأمرنا أن نُبردها بالماء*»، وهذا يدل على أن التوجيه النبوي تجاوز التنظير إلى الممارسة الفعلية، وتحوَّل إلى سنة مجتمعية علمية. يقول ابن عبد البر: «الصب بين المحموم وبين جيبه؛ وذلك أن يصب الماء بين طوقه وعنقه، حتى يصل إلى جسده، فمن فعل كذلك وكان معه يقين صحيح ـ رجوت له الشفاء من الحمى ـ إن شاء الله»[2].

وقال العراقي: «هَذَا الحديث يَرُدُّ قَوْلَ الْأَطِبَّاءِ وَيُصَحِّحُ حُصُولَ الْبُرْءِ بِاسْتِعْمَالِ الْمَحْمُومِ الْمَاءَ، وَأَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ»[3].

يقول علماء الطب الطبيعي إن المصابين بالحمَّى أو البول السكري أو بعض الأمراض المزمنة يستفيدون كثيرًا من شرب الماء بالقدر الذي يطلبون ويقولون إن جرعة واحدة من الماء كل ربع أو نصف ساعة تساعد على الشفاء من كثير الالتهابات المعدية والمعوية، وأصحاب الرائحة الكريهة من العرق يفيدهم أيضًا شرب الماء بكثرة[4].

وفي حديث أنس (رضي الله عنه): «*إذا حُمَّ أحدكم فلْيُشنَّ عليه الماء البارد من السحر ثلاثًا*»، نجد أن التوجيه النبوي يحدد وقت الاستعمال وعدد مرات الصب، مما يدل على أن التوجيه لم يكن عشوائيًا، بل مضبوطًا من حيث الكيفية والزمان. وقد علَّق على ابن حجر على ذلك بقوله:«تخصيص الوقت بالسحر لحصول اللطافة وبرودة الجو، مما يجعل أثر

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٠٢/٦.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٢٧/٢٢.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب ٢١٤/٨.

(٤) الطب البديل، العلاج بالماء قديمًا وحديثًا صـ ٨٢.

الماء البارد أنفع للبدن»[١]، وهذا يُشير إلى ضبط الاستعمال وليس الإطلاق، مما يدل على عناية نبوية بالزمان والكيفية.

وفي حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «إن الحمى من فيح جهنم، فأطفئوها عنكم بماء زمزم»، يتجه التوجيه النبوي إلى تحديد نوع الماء المستخدم، وهو ماء زمزم، لما له من فضل شرعي ومفعول خاص. وقد قال ابن القيم: «ماء زمزم سيد المياه، وأشرفها، وأجلها قدرًا، وأحبها إلى النفوس، وأغلاها ثمنًا وأنفسها عند الناس، وهو هَزْمَة جبريل وسقيا إسماعيل»[٢]، فهو نافع بقدرة الله على تبريد الحمى.

ويُضيف حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه): «*ماء زمزم لما شُرب له*»، بُعدًا جديدًا في التداوي بالماء، وهو المقصد الإيماني والنية القلبية، لا سيما إذا اقترنت بثقة ويقين. وقد قال الشوكاني: «فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع لأي أمر شُرب لأجله، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة؛ لأن قوله: لما شرب له من صيغ العموم»[٣].

وقال الإتيوبي: «من شربه لحاجة نالها، وقد جَرَّبهُ العلماء والصالحون لحاجات أخروية ودنيوية، فنالوها بحمد الله تعالى، وفضله»[٤]، ومن تلكم الحاجات: الشفاء من المرض، كما قال ابن القيم عن نفسه: «وقد جربت أنا وغيري ـ من الاستشفاء بماء زمزم ـ أمورًا عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض ، فبرأت بإذن الله»[٥].

وقد اعتُبر العلاج بالماء من أقدم وسائل الطب الطبيعي، وكان الأطباء في مصر القديمة، ومنهم أمنحوتب، يستخدمون الماء ضمن وصفاتهم العلاجية[٦].

---

(١) فتح الباري ١٠/١٧٧.

(٢) زاد المعاد ٤/٣٥٩.

(٣) نيل الأوطار ٥/١٠٥.

(٤) البحر المحيط الثجاج ٢٣/١٠٩، وذخيرة العقبى في شرح المجتبى ٢٥/٢٦٨.

(٥) زاد المعاد ٤/٣٦١.

(٦) الطب البديل، العلاج بالماء قديمًا وحديثًا صـ ٩.

وقد أجريت خلال العقدين الماضيين كثيرًا من التحاليل الكيميائية لمعرفة التركيب الكيميائي لماء زمزم وهل تختلف عن غيرها من المياه الطبيعية للينابيع والآبار، ففي عام ١٩٧٣م قامت شركة واطسون بإجراء تحليل لمياه آبار زمزم والداودية، وفي عام ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م أخذت عينات من المصادر الرئيسية لمياه زمزم وتم تحليلها في مختبر مصلحة المياه في المنطقة الغربية بالسعودية، حيث يقول الأستاذ (كوشك) الذي قام بتحليل المياه، أن مياه زمزم تتميز بصفة عامة باحتوائها على تركيزات عالية من الكالسيوم والمغنيسيوم والمعادن الأخرى، أي أنها مياه غنية بالمعادن[١].

وقد أثبتت الجمعية اليابانية لشئون الأمراض، فعالية العلاج بالماء، وبلغت نسبة النجاح في بعض الأمراض ١٠٠%.[٢].

ومن مجموع ما سبق، يتضح أن ورود الماء في السنة النبوية ضمن سياق التداوي لم يكن جزافًا، بل جاء محمولًا على معرفةٍ عميقةٍ بخصائص الماء، وتناسُبِه مع طبيعة المرض، وظروف المريض، وتوقيت العلاج، بل وتنوع مصادر الماء. وقد أكّد العلماء دقة هذا التوجيه، وواكبه الطب الحديث بنتائج علمية تُثبت جدواه، لا سيما في حالة ماء زمزم، الذي جمع بين القوة الطبية والخصوصية الإيمانية، مما يجعل من الماء أداةً علاجيةً نبويةً قائمةً على الفطرة والرحمة والعلم معًا.

***

(١) الطب البديل، العلاج بالماء قديمًا وحديثًا صـ ٨٨ - ٨٩.

(٢) السابق صـ ٨٢.

الخاتـــمـــة

في ختام هذا البحث، يظهر بوضوح أهمية السياق في فهم معاني الألفاظ الطبية في السنة النبوية الشريفة. فقد أتاح لنا التحليل الدلالي اكتشاف معانٍ دقيقة لهذه الألفاظ، مما يُسهم في تحقيق فهم أعمق للمقاصد النبوية في مجال العلاج والصحة. كما كشف البحث عن مرونة اللغة النبوية وقدرتها على استيعاب مختلف المعاني في أطر سياقية متعددة، حيث برزت الألفاظ الطبية كجزء أساسي من منهج العلاج النبوي، موجَّهةً إلى تحقيق الصحة الوقائية والجسدية والنفسية. وعليه، فإن البحث يُسهم في إثراء الدراسات اللغوية والشرعية والطبية، ويوفر أرضية صلبة لتطبيقات مستقبلية في الطب النبوي.

النتائـــــج:

السياق عامل أساسي في تفسير الألفاظ الطبية وفهمها بما يتناسب مع المعنى المقصود منها، مما يُساعد على تجنب التفسيرات السطحية أو الخاطئة.

- اختلاف دلالات بعض الألفاظ الطبية النبوية بتغير السياق، مما يبرز مرونة الألفاظ وقدرتها على استيعاب المعاني المختلفة في ضوء سياقها النبوي.
- الطب النبوي يركز على الوقاية بقدر ما يركز على العلاج؛ حيث تشير كثير من الألفاظ إلى إرشادات وقائية تهدف إلى الحفاظ على صحة الإنسان.
- إمكانية توافق الطب النبوي مع الطب الحديث، حيث إنَّ الكثير من الألفاظ الطبية النبوية تشير إلى مفاهيم طبية تُعززها أبحاث الطب الحديث، خاصة فيما يتعلق باستخدام الأعشاب والعلاجات الطبيعية.
- دور الدراسات اللغوية في تفسير النصوص الشرعية، حيث أثبت البحث أهمية التكامل بين علم اللغة وعلوم الشريعة لفهم النصوص النبوية بدقة.

التوصيات:

- إجراءُ المزيدِ من الدِّراساتِ التَّطبيقيةِ على الألفاظِ الطِّبيَّةِ في الحديثِ النَّبويّ، خاصةً تلكَ التي لها ارتباطاتٌ بالطِّبِّ البديلِ، للاستفادةِ منها بشكلٍ علميّ.

- إدراجُ موادٍ علميَّةٍ في المناهجِ التعليميَّةِ تتناولُ الألفاظَ الطِّبيَّةَ النبويةَ بشكلٍ دلاليّ، لزيادةِ الفهمِ الثَّقافيّ والدِّيني للطِّبِّ النَّبويّ.
- استكشافُ آراءِ الفقهاءِ المعاصرينَ حولَ استخدامِ الأعشابِ الطِّبيةِ في العصرِ الحديثِ وكيفيةِ توافقها مع الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ.
- تطبيقُ الأبحاثِ الدِّلاليَّةِ على مجالاتٍ أُخرى من الحديثِ النَّبويّ، لتوضيحِ معاني الألفاظِ المُتغيّرةِ حسبَ السِّياقِ، ممَّا يُسهمُ في فهمٍ شاملٍ للنصوصِ النَّبويَّةِ.
- تطويرُ منهجياتٍ بحثيَّةٍ تركزُ على السِّياقِ في الدراساتِ اللُّغويَّةِ والشَّرعيَّةِ، لما لهذا من أهميَّةٍ في الوصولِ إلى فهمٍ عميقٍ للأحاديثِ النَّبويَّةِ.
- تعزيزُ الوعي بأهميَّةِ الطِّبِّ الوقائيّ في السُّنةِ النَّبويَّةِ، من خلالِ نشرِ المفاهيمِ الوقائيةِ في الأحاديثِ الطِّبيَّةِ وتشجيعِ الاهتمامِ بالصِّحةِ العامَّةِ.
- بهذا، يكون البحث قد ساهم في إبراز دور السياق في فهم الألفاظ الطبية النبوية، وأسهم في تقديم أساس يمكن البناء عليه في الدراسات المستقبلية حول الطب النبوي.

***

فهرس المصادر والمراجـــع

٣. القرآن الكريم.

٤. المطبـــوعات.

الإبانـة في اللغة العربيـة للعوتبي، تـح: د. عبد الكريم خليفـة، ط: وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط ـ سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م.

أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم د. محمود حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثاني عشر، ربيع الآخر ١٤٣٥هـ ـ فبراير ٢٠١٤م.

أثر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعنى التداولي في العربية، د. عبد القادر جعيد، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ٢٠٢١م.

أثر السياق في تغاير دلالة الكلمة د. منى عبد الله على فراج، بحث منشور في مجلة الدراسات العربية، كلية العلوم ـ جامعة المنيا، المجلد (٣٧)، العدد (٥)، يناير ٢٠١٨م.

الأحاديث المشكلة في الطب النبوي من الصحيحين «التداوي نموذجًا»، د. حنان حسن عبد الرحمن الخشت، بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور ـ جامعة الأزهر، العدد (٥) الجزء (٢).

إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، ط: السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

الأحكام النبوية في الصناعة الطبية للحموي، تح: عبد السلام هاشم حافظ، ط: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الأولى، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

أساس البلاغة للزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

الأصول د. تمام حسان، ط: الدار البيضاء، دار الثقافة، ٢٠٠٩م.

إعجاز الطب النبوي د: السيد عبد الحكيم عبد الله، ط: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

إعجاز الطب النبوي، تأليف/ الدكتور السَّيد الجميلي، ط: دار ابن زيدون، بيروت ـ لبنان.

الأعشاب دواءٌ لكلِّ داءٍ، تأليف/ فيصل بن محمد عراقي، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للخطيب الشربيني، تح: مكتب البحوث والدراسات ـ دار الفكر، ط: دار الفكر – بيروت.

إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، تح: الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل، ط: دار الوفاء، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

الألسنية محاضرات في علم الدلالة لـ نسيم عون، ط: دار الفارابي ـ بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

الأمراض ومعجزة الوقاية والعلاج، الشيخ محمد متولي الشعراوي، إعداد/ نبيل خالد، ط: مكتب يارا للإعلام العربي ١٩٩٩م .

البحر المحيط الثجاج بن الحجاج للشيخ الإتيوبي الولوي، ط: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ ـ ١٤٣٦ هـ.

البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، ط: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

بدائع الفوائد لابن القيم، تح: هشام عبد العزيز عطا وآخران، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

البيان في روائع القرآن د/ تمام حسّان، ط: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

تاج العروس للزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

تاريخ الطب العربي د. محمد جابر صدقي، ط: مركز تعريب العلوم الصحية ـ الكويت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٤م.

التأليف في الطب النبوي (نشأته، ومراحله، مع دراسة مقارنة لأهم الكتب المؤلفة فيه) د. نورة عبد الله محمد الغملاس، مقال بمجلة جامعة المدينة العالمية، العدد (٣٠)، اكتوبر ٢٠١٩م.

تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، تح: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.

تحفة الأحوذي للمباركفوري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

تخريج ودراسة الأحاديث في الطبِّ النبويُّ، رسالة ماجستير من إعداد الطالب: أحمد بن محمد زبيلة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

التداوي بالأعشاب لـ محمد قاسم، ط: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

التداوي بألبان الإبل وأبوالها لـ شهاب البدري يس، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

التداوي بالعسل سلسلة من روافد الطب البديل (٦)، ط: دار الحضارة، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

التداوي بعسل النحل لـ عبد المنعم قنديل، ط: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

تذكرة داود الأنطاكي، راجعها: مصطفى محمد، ط: دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

التعريفات الفقهية لـ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ط: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه، حققه وقدم له وعلق عليه: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط: مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

تفسير الجلالين لـ جلال الدين المحلي، ط: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى.

تفسير الرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

تفسير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

تهذيب اللغة للأزهري، تح: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

التوابل والأعشاب الطبية، تأليف/ كولن كلير، نقله إلى العربية د/ سهيل زكار، ط: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

التوقيف على مهمات التعاريف للمُناوي، ط: عالم الكتب -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، ط: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الجاسوس على القاموس لابن فارس، ط: مطبعة الجوائب – قسطنطينية، عام النشر: ١٢٩٩ هـ.

جمهرة اللغة لابن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للمحقق النجفي، تح: الشيخ حيدر الدباغ، ط: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

الحناء: وظائفها وطقوسها الاجتماعية (دراسة أنثروبولوجية في قرية بللوران الساحلية) عمران كامل، عز الدين، سليمان خرما إيفا، مجلة جامعة تشرين للبحوث

والدراسات العلمية ـ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ـ، المجلد (٣٣)، العدد (١)، ٢٠١١م.

الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن المبرد، تح: رضوان مختار بن غربية، ط: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

دراسة في المكونات الكيميائية وبعض الاستخدامات الطبية لبول الإبل العربية د/محمد أوهاج محمد، وتحليلات كيميائية مقارنة وتجارب سريرية لعلاج الاستسقاء بأبوال الإبل د/ محمد أوهاج محمد ـ بحث مقدم في المؤتمر السابع للهيئة العامة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

دلالة السياق لـ: ردة الله بن ضيف الطلحي، ط: مكتبة الملك فهد، السعودية، ٢٠٠٥.

دلالة السياق، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، إعداد الطالب: رَدَّة الله بن رَدَّة بن ضيف الله الطلحيّ، المجلد الأول، ١٤١٨هـ.

الدلالة السياقية عند اللغويين د. عواطف كنوش المصطفى، ط: دار السياب، لندن، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧.

دلائل الإعجاز لـ عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط: مطبعة المدني بالقاهرة ـ دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

دور السياق في فهم تصرفات الرسول (ﷺ): دراسة نظرية وتطبيقية في الأحاديث التي تأمر بقتال الناس حتى يؤمنوا لـ محمد صديق.

دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. كمال بشر، ط: مكتبة الشباب، المنيرة، ١٩٧٥م.

ديوان الكميت، تح: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠.

الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي، ط: دار إحياء الكتب العربية.

الرسالة للشافعي، تح: أحمد شاكر، ط: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

زاد المعاد في هدي خير العباد لـ ابن قيم الجوزية، ط: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري، د. حاتم صالح الضامن، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ ـ١٩٩٢م.

سبل السلام للصنعاني، ط: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد لـ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

السنن الكبرى للبيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

سنن النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية– حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

السواك للدكتور/ محمد علي البار، ط: دار المنارة، جدة ـ مكة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

السواك والعناية بالأسنان د. عبد الله عبد الزاق مسعود السعيد، ط: الدار السعودية، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢م ـ ١٤٠٢هـ.

السياق الدلالي والصوتي في سورتي النجم والرحمن بحث منشور في كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، إعداد دكتور/ جيهان حافظ محمد إسماعيل، العدد (٤١)، الجزء (٢) الإصدار الثاني أكتوبر ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٢م.

السياق وتأويل النصوص نموذج من النصِّ القرآني لـ: محمد شتون باحث وأكاديمي في كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، المغرب.

سير أعلام النبلاء للذهبي، ط: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

الشامل في الصناعة الطبية لابن النفيس، تح: يوسف زيدان، ط: المجمع، الثقافي، أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة ص. ب ٢٣٨٠، الطبعة: الأولى،: ٢٠٠٠ م.

شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد، تح: محمد خلوف العبد الله، ط: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

شرح السنة للبغوي، تح: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

شرح المصابيح لابن الملك، تح: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط: إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

شرح النووي على مسلم، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

شرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري، تح: الشيخ خليل محيي الدين الميس، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تح: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى، ط: دار الفكر، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميري، تح: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، ط: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

الصحاح للجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الطب البديل، العلاج بالماء قديمًا وحديثًا لـ ماهر حسن محمود محمد، ط: دار الندى، الإسكندرية.

الطب النبوي (رؤية علمية للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبية)، سلسلة الطب البديل د. عبد الباسط محمد السيد أستاذ التحاليل الكيميائية بالمعهد القومي للبحوث - دار الفا للنشر والإنتاج الفني.

الطب النبوي ... رؤية نقدية حول ملف الطب النبوي لـ معتز الخطيب.

الطب النبوي الوقائي، لـ: د. محمد علي البار، د. حسان شمسي باشا، ط: المركز الوطني للطب البديل والتكميلي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ.

الطب النبوي بين العلم والإعجاز لـ حسان شمسي باشا، ط: دار القلم، دمشق، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٨م.

الطب النبوي لابن قيم الجوزية، تح: عبد الغني عبد الخالق، ط: دار الفكر، بيروت.

الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني، تح: مصطفى خضر دونمز التركي، ط: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦ م.

الطب النبوي للذهبي، تح: أحمد رفعت البدراوي، ط: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

الطب النبوي والعلم الحديث لـ محمود ناظم النسيمي، ط: دار الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م.

الطب النبوي وحي أم تجربة؟ لـ سليم بن عيد الهلالي، ط: دار الإمام أحمد، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

الطب في الكتاب والسنة لموفق الدين البغدادي، تح: د. عبد المعطي امين قلعجي، ط: دار المعرفة، بيروت - لبنان.

الطب والأطباء في الإسلام لـ أحمد محي الدين العجوز - مقال بمجلة الوعي الإسلامي، شوال ١٤٠٥هـ.

عجائب العلاج بالكمأة للدكتور أيمن الحسيني المصري – مكتبة القرآن، طبعة ٢٠٠٥م.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني.

العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

العلاج بأبوال وألبان الإبل بين العلم والخرافة، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

علم الدلالة د. أحمد مختار عمر، ط: عالم الكتب، مصر، ١٩٩٨م.

علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية لـ: فريد عوض حيدر، ط: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

علم الدلالة لـ بالمر، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، ط: الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥م.

علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران، ط: دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٠م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري لـ بدر الدين العيني، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

عون المعبود للعظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

العين للخليل بن أحمد، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

غريب الحديث للحربي، تح: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، ط: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.

الفائق في غريب الحديث للزمخشري، تح: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.

فتح الباري لابن حجر، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

فقه الطب النبوي هاني عبد الله الجبير، ط: مركز نماء للبحوث والدراسات - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠١٦م.

فوائد السواك الشرعية والصحية لـ محمد بن علوي العيدروس، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

في رحاب الطب النبوي لـ نجيب الكيلاني، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

قاموس الغذاء والتداوي بالنباتات (موسوعة غذائية صحية عامة)، ط: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

القاموس المحيط للفيروز آبادي، تح: محمد نعيم العرقسُوسي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

القانون في الطب لابن سينا، وضع حواشيه/ محمد آمين الضناوي.

قراءة النص وسؤال الثقافة لـ عبد الفتاح أحمد يوسف، ط: عالم الكتب - عمان، ١٩٩٩م.

القسط الهندي جوهرة من الطب النبوي، جمع وإعداد/ طارق بن عبده بن إسماعيل، باحث بالطب النبوي، ط: دار رواء، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٩م.

قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، ط: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

كشاف القناع عن متن الإقناع لـ الشيخ منصور البهوتي، تح: إبراهيم أحمد عبد الحميد، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، تح: علي حسين البواب، ط: دار الوطن، الرياض.

الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، طبعة: أولى، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة: ثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

اللغة ونظرية السياق، بحث للدكتور على عزت منشور بمجلة الفكر المعاصر، عدد ٧٦ يونيو ١٩٧١م.

لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح للدهلوي، تح: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، ط: دار النوادر، دمشق– سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ ٢٠١٤ م.

مبادئ اللسانيات د. أحمد محمد قدور، ط: دار الفكر - دمشق، برامكة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي الشيباني، تح: محمد الكاظم، ط: مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

مجمل اللغة لابن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للأصبهاني، تح: عبد الكريم العزباوي، ط: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ مكة المكرمة، دار المدني، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، جـ ١ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

المحصول للرازي، الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م.

المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م.

محيط المحيط لبطرس البستاني، ط: مكتبة لبنان، بيروت.

مختار الصحاح للرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري، ط: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي الإشبيلي، ط: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م.

المستدرك على الصحيحين للحاكم، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م.

مسند الشاميين للطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، ط: المكتبة العتيقة ودار التراث.

المصباح المنير للفيومي، ط: المكتبة العلمية ـ بيروت.

مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢م.

المطلع على ألفاظ المقنع للبعلي، تح: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣ م.

معالم السنن للخطابي، ط: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢م.

معجم الأعشاب الطبية في الوطن العربي، تأليف/ عبد الباسط محمد السيد، ط: ألفا، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

المعجم الكبير للطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار عمر، ط: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

معجم النباتات الطبية لـ وديع جبر، ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط: دار الدعوة.

معجم ديوان الأدب للفارابي، تح: دكتور أحمد مختار عمر، ط: مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

معجم لغة الفقهاء لـ محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ط: دار النفائس، عمان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

معجم متن اللغة لـ أحمد رضا، ط: مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧ـ ١٣٨٠هـ.

المعلم بفوائد مسلم للمارزي، تح: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، ط: الدار التونسية، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.

المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي، ط: دار الكتاب العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

المغني لابن قدامة، ط: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

المفاتيح في شرح المصابيح، تح/لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية ـ وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م.

مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

المقام والإفادة من الخطاب الشرعي لـ إسماعيل الحسني، مجلة الإحياء، العدد (٢٥)، جمادي الثانية ١٤٢٨هـ ـ يوليو ٢٠٠٧م.

مقاييس اللغة لابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

المنتقى شرح الموطإ للباجي، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ـ الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).

منحة الباري شرح صحيح البخاري للسنيكي، تح: سليمان بن دريع العازمي ط: مكتبة الرشد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.

الموافقات للشاطبي، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، جمع وترتيب: شحاته صقر، ط: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية.

موسوعة جابر لطب الأعشاب، ط: مكتبة العكبيان، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الميسر في شرح مصابيح السنة ١٢١٤/٤، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ.

النباتات الطبية واستخداماتها العلاجية د. وائل محمد الأغواني، ط: المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية، الطبعة: الأولى، ٢٠٢٤م.

نباتات طبية ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية د. مظفر أحمد الموصلي، ط: دار السلام للطباعة.

نَحْلُ عِبَر النَّحلِ للمقريزي، تح: جمال الدين الشيال، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

النحو والدلالة د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط: دار الشرق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار لبدر الدين العيني، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية د/ مصطفى حميدة، ط: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب لابن بطال، تح: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، ط: المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

نيل الأوطار للشوكاني، تح: عصام الدين الصبابطي، ط: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الوافي بالوفيات للصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط: دار إحياء التراث – بيروت، ط:١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

***